بسم الله الرحمن الرحيم

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان

دليل ندوات دار الرسول الأعظم ﷺ
في مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات
التابع لقسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة العباسية المقدسة
٢٠١٧ م - ١٤٣٨ هـ

المراجعة والتدقيق

أ.م.د. ليث قابل الوائلي
أ.م.د. شعلان عبد علي سلطان

المتابعة والتنفيذ

رضوان عبد الهادي السلامي
ياسين خضير الجنابي

التحرير الطباعي

حسين صبيح الكعبي

التصميم والاخراج

ميثم القرعاوي

إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله
أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم
لا إله إلا الله
محمد رسول الله

في البدء

باسمه تعالى

الحمدلله رب العالمين وصل اللهم على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين وبعد.

أخذت دار الرسول الأعظم ﷺ، وهي من أقسام مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، على عاتقها ان تستنهض الباحثين في السيرة النبوية المباركة فضلاً عن المختصين والمهتمين، وذلك لتسليط الضوء على بعض الفقرات المهمة من حياة النبي الاكرم، وسيرته العطرة وصولاً الى إعادة قراءتها على نحو يساوق معطيات الدراسات اللغوية والتاريخية المعاصرة، فضلاً عن تطلعات المرحلة الراهنة التي تمر بها الأمة الإسلامية وهي تشهد هجمة شرسة طالت تاريخها الحضاري والفكري، فلم تسلم سيرة النبي ﷺ من تلك الهجمة التي أتت على تشويه كثير من مفاصلها. لذا أسس في دار الرسول الأعظم ﷺ (ملتقى السيرة) إذ يدعى له المهتمون ليسمعوا من الاكاديميين والحوزويين ما يمكن اثراءه بالمناقشة فكان من ثمار السنة ٢٠١٧ اربع ندوات علمية حاضر فيها نخبة من الحوزويين والاكاديمين، وحضرها مختصون ومهتمون بالسيرة النبوية المباركة ونحن في هذا الإصدار نضع بين يدي القارئ الكريم خلاصة ماجاء في ذلك الموسم العلمي على أمل ان يكون صنيعنا هذا بعين الله اولاً وعين رسوله الكريم ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم
إن الله وملائكته يصلون على النبي

الندوة الأولى

محمد ﷺ

ضوابط كتابة السيرة النبوية

حاضر فيها

آية الله الشيخ محمد السند (دامت بركاته)

المكان: قاعة مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

التاريخ: ٨/١٢/٢٠١٦م

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الأنام، سيد الأولين والآخرين وسيد الانبياء والمرسلين نبي الرحمة ، وخازن المغفرة ، وفاتح الخير والبركة محمد وعلى آله الأوصياء الأئمة الهداة . السلام عليكم أيها الحضور الكرام ورحمة الله وبركاته:

في البدء نعزي صاحب العصر والزمان بشهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في هذا اليوم، ونعزي جميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات بهذا المصاب.

لا يقتصر أمر السيرة النبوية على دراسة مقطع من حياة النبي صلى الله عليه وآله بل لا بد من دراسة عموم سيرته صلى الله عليه وآله إذ إن سيرة النبي على وجه الخصوص ليست مادة تاريخية بحتة وإن كان هذا الأمر تكلّفت به أقلام كثير من المؤرخين ، ونُظِر إليها من بُعدها التاريخي ، وصُنف في ذلك مدونات فُرِض بعضها في المقررات التعليمية الدراسية الابتدائية، والمتوسطة، والإعدادية، والجامعية. وهذه المصنفات تنظر إلى السيرة النبوية على أنها بُعد تاريخي محض ، ونحن لا ننفي أنّ لها بعدًا تاريخيًا لكنها ليست متمحضة في البُعد التاريخي ، بل لا يستطيع أن يدونها حتى من كان نخبويًا متخصصًا في التاريخ فقط، وربما يستغرب بعضهم هذا الشيء ، كيف لا يستطيع اذا كان مؤرخًا او متخصصًا ؟ لماذا لا يتسنى له كتابة سيرة النبي ؟ سنبين جملة من الاضاءات حول هذا الأمر.

إن سيرة النبي صلى الله عليه وآله تتلقى بوصفها وحيًا ، واذا كانت تتلقى بوصفها وحياً فإن أبعادها متعددة؛ لأن الوحي لا يتلوّن بالتاريخانية فقط، الوحي بطبيعته يحيط وله شمولية لأدوار التاريخ كلها ، الوحي دوره هو ما للوحي والدين من دور، ودور الدين ليس دغدغة مشاعر للاطلاع على حقب تاريخية فقط بل سيرة النبي صلى الله عليه وآله مصدر للعقيدة، ومصدر للتقنين الإسلامي، ومصدر للنظام الأخلاقي، ومصدر

لبناء حضارة، ومصدر لري عطش الإنسانية في التنمية والتطور وما شابه ذلك، فاذا كانت السيرة النبوية دورها هذا الدور فهل سيكون للسيرة النبوية بُعد تاريخي فقط؟

اذا كان المتكلم في علم الكلام يستند إلى السيرة ، فهل يمكن أن تكون السيرة أمراً تاريخياً ساذجاً ؟! واذا كان الفقيه يستند الى السيرة فهل يمكن حينها أن تكون سيرة النبي ذات بُعدٍ تاريخي بحت ؟! نحن نريد أن نجعل من هذه السيرة أنموذجاً مثالياً ، نريد أن نستشرف وننهل من نمير هذه السيرة ، فهي أنموذج عظيم لرّي عطش البشرية ، فكيف نتعاطى مع هذه السيرة بهذه النظرة التاريخية المجردة السهلة؟!

نلاحظ أن من أساليب القرآن الكريم هو القصص، والقصّص القرآني هو أحد أنواع الأداء القرآني الوحياني، ما الفرق بين القصص غير القرآني والقصص القرآني ؟ القصّص القرآني تاريخ أيضاً لكن القرآن الكريم يستعرضه ليس بوصفه بعداً تاريخياً محضاً بل يتعرض الى القصص ببُعدها الوحياني الشمولي الديني، يعني بُعدها العقائدي، وبُعدها الأخلاقي، وبُعدها الحضاري، وبُعدها القانوني، وغيرها من الأبعاد ؛ لذلك تلاحظ القصص التي يستعرضها القرآن الكريم ليس فيها تفاصيل كل ما هب ودب، قصة يوسف من باب المثال لم يتعرض لكثير من التفاصيل الجزئية فيها ، ربما الروايات الشريفة تعرضت اليها والقرآن أعرض عنها ؛ لأنه ليس هدف القرآن البُعد التاريخي بما هو تاريخ انما هدف القرآن بُعد التاريخ في بناء منظومة قانونية، وبناء منظومة عقائدية، وأخلاقية، ومنظومة حضارية ، فليس شأنها شأن التاريخ الذي يتعرض الى كل صغيرة وكبيرة.

تعرض القرآن الكريم لمحطات خاصة من بدء تاريخ البشر الى يومنا هذا

والى يوم القيامة ، تعرض القرآن الكريم الى دورة كبيرة من العوالم السابقة والعوالم اللاحقة حتى النبوءات المستقبلية -إن عُدَّت من التاريخ -اذن التاريخ في القرآن الكريم ليس تاريخاً محضاً، بل هو عبارة عن منبع وحياني ديني ، وهكذا هي الحال في سيرة النبيﷺ ولو نظرنا إلى كيفية تعاطي فقهائنا الإمامية مع السيرة النبوية لوجدنا أنهم تعاطوها بوصفها قراراً لبحوث خطيرة في العقيدة، تعاطاها الأعلام في بحوث خطيرة في الفقه السياسي الذي نريد أن نرسم معالمه ، تعاطوها مصدراً مهماً في منظومة الأخلاق سواء منظومة الاخلاق الفردية الروحية، أو الفردية المجتمعية، اذن سيرة النبي كما قُرِّر في العلوم الإسلامية إحدى مصادر التشريع، وإحدى مصادر المعرفة، يا لها من خطورة، فهي ليست تاريخ فرد عادي ، بل تاريخ أنموذج إلهي خلقه الله عز وجل ليكون ينبوع الوحي،﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم).

إذن في البدء يجب أن نلتفت الى أن السيرة النبوية – وهذا نداء الى كل الإخوة الذين يدرسون المادة التاريخية في السيرة النبوية– لا يمكن أن نتعاطاها تعاطياً تاريخياً محضاً بل هي من الخطورة بمكان، لأنها منبع للوحي ومنبع للتشريع .وقد حصل لي نوع من الممارسة البحثية في السيرة النبوية في موارد في الفقه السياسي والفقه العقائدي والأخلاقي أيضاً وما شابه ذلك. وجدت جملة من الأدوار الزمانية في البحوث العلمية حتى الخاصة بنا تُلقيت السيرة لسيد الأنبياء فيها على هذه الشاكلة ، والحال أن نسبة هذه الصورة المرسومة لسيرة سيد الأنبياء فيها ما فيها، وأذكر لكم مثالاً ، ما موقف النبيﷺ تجاه الملل والنحل الأخرى؟ وماذا كان موقفه من الحروب؟ وما موقفه مع أسرى الحروب؟ ماذا كان موقفه في قضية بني قريظة ؟ وحتما قرأتم عنه الكثير . لكن هناك محققون في الحوزة العلمية أمثال المرحوم الشيخ محمد رضا الجعفري من

تلاميذ السيد الخوئي(رحمة الله عليه)، وتلاميذ السيد محمد الروحاني يرفض ما كتب حول بني قريظة في هذا المورد ، ويرى أنها أقلام سلطوية ليست مصادرها من أهل البيت. تعلمون هذه واقعة خطيرة ، فكيف نقرأ شخصية الرسول والموقف التشريعي للرسول تجاه الملل والنحل الأخرى ؟ كيف نقرأ موقفه من الحروب في قصة بني قريظة، وموقفه من الأُسارى في قضية بني قريظة وبني النضير وبني القُنيقاع؟

ونقول بصراحة -في سبيل الإثارة للبحث المنهجي في سيرة الرسول- الأقلام التي كتبت سيرة الرسول من السلطات الحاكمة أرادت أن تبرر كثيراً من العنجهيات التي مارستها بنسبة هذه الممارسات الى الرسول، فماذا نصنع إن كان عندنا بعض الأساليب الداعشية منسوبة الى الرسول ـ أعوذ بالله ـ في عمق السيرة النبوية، وهذا أمر خطير بقدر ما للرسالة السماوية للإسلام من أثر ، الإسلام الذي أراد الله أن يظهره على الدين كُله، وهو مشروع ضخم كبير نريد أن نقدمه مناراً لشعوب البشر المتعطشة كافة، أيّ أنموذج نقدم؟ الأمر ليس بالسهل ، الأمر خطير جداً.

لذلك يجب أن يخضع البحث في سيرة النبي ﷺ الى موازين وضوابط خاض فيها علماؤنا كثيراً، سنتلوها على مسامع الإخوة. فليس السيرة بالأمر السهل ، جملة من علمائنا منهم السيد البروجردي (رحمة الله عليه) ينسب اليه أن الذي يعرف حديث أهل البيت بعمق الحديث لا يمكن أن يعرفه بلا سيرة النبي ، والعكس كذلك سيرة النبي لا يمكن أن تُعرَف من دون أحاديث أهل البيت، فهناك نوع من الترائي بينهما؛ لأن كلام أهل البيت ناظر لشرح البعثة النبوية ؟ فكيف أقرأ الشرح ولا ألتفت إلى المتن؟ الشرح هو شرح للمتن ، والمتن هو السيرة النبوية فاذا كنت غير مُلم بها لا أستطيع التعاطي مع البحث الفقهي والبحث التفسيري والبحث العقائدي، إذا لم أكن ملماً بالسيرة النبوية سيكون فهمي مقطوعاً مبتوراً، لذا هناك

من أكابر العلماء في الحوزات العلمية يرى أن العلوم الإسلامية كافة مرهونة بمعرفة السيرة النبوية وليس في الحديث النبوي فقط ، أذكر لكم أمثلة على خطورة السيرة النبوية ، ولا أريد أن استغرق في هذا الأمر لكن لا بد من الإشارة اليه فكثير من الآيات فُسِّرت عند الفقهاء – وقد ذكرت جملة منها في كتابي (عدالة الصحابة) – وجملة من الاستنتاجات والاستنباطات الفقهية في الفقه السياسي، والفقه العقائدي، والفقه التفسيري، بُني على معاني معينة التزم بها النبي ﷺ مبنية على مقولة معينة في سيرة النبي ، فهل هذا الذي كتب في سيرة النبي هو سيرة النبي الحقيقية أو شيء آخر؟ بشيء من التمحيص نرى شيئاً آخر، لاحظ سيرة النبي تُجعل قرينة في تفسير الآيات وأي دور أخطر من هذا الشيء! سيرة النبي تُجعل قرينة على الأحاديث النبوية وقرينة حالية لتفسير الأحاديث النبوية ، وأي دور أخطر من هذا؟! سيرة النبي تُجعل قرينة على تنزيل الآيات، فأسباب النزول هي أحد المصادر المهمة لتفسير الآيات ومن ثم تفسير مصادر التشريع، انظر إلى خطورة السيرة النبوية في مصادر التشريع.

فأنتم أيها المتخصصون النخبويون –وفقكم الله للمزيد من درجات العلم والتحقيق والتمحيص– لا تظنوا أن هذا البحث التاريخي تاريخ محض ، أنتم ستكونون مؤثرين في تمحيص الحقيقة في بُعدها العقائدي وبُعدها القانوني وفي بُعدها الراسم لمنظومة الدين في أنحاء شتى، بل في الحضارة الدينية نفسها ،وقد رأيت اكابر كُثر حتى من الخاصة بنوا على قرينية معينة في السيرة النبوية إذا محصناها ودققنا النظر إليها طبق الموازين العلمية في العلوم الدينية نرى هذه السيرة كتبتها أقلام السلطة وليست كتبتها أقلام الحقيقة ؛ فلذا لا يمكن أن ينظر الى السيرة – وهذه أول نقطة شارحة لموضوعة السيرة النبوية بوصفها مادة تاريخية مجردة بل هي مصدر للمعرفة الدينية ومصدر للتشريع والوحي ، فإذا كانت بهذه الخطورة

فلابد من شدِّ السواعد لمزيد من الفحص والتنقيب، لا أقول مزيد من الإنكار ، ولا أقول مزيد من التسارع في التثبيت ، شعار العلم الكبير هو المزيد من الفحص والتمحيص والتنقيب بلا حد ولا كلل ولا أمد ، لأن عالم الفحص لا يعرف الأمد، العلم لا يعرف حداً ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وهذه اول موضوعة في قضية السيرة.

النقطة الثانية التي أحب أن أتداولها مع الإخوة الأعزاء في دار الرسول الأعظم، أرجو أن يدوّنَ كل إنجاز في هذه الدار ، ولا يكتفى بالتدوين الورقي بل التوثيق الالكتروني، استثمروا جهودكم الشريفة التي تستمر - إن شاء الله -، واجعلوا تدوينكم الكترونياً ؛ لأننا نعيش في عصر التوثيق الالكتروني لا عصر الطباعة بالورق ، نعم لا بأس بتوثيق الإنجازات ورقياً أكرم به وأنعم، لكن التدوين الالكتروني والنشر الالكتروني هو أولاً وأخيراً من جهة سرعة الانتشار وسعته وجدواه .

ونتطلع منكم أن تكون لكم موسوعة بحثية تجمع الأبحاث والمصادر القديمة الموثقة ، وعلى يدكم إن شاء الله تنبثق موسوعة نبوية فيها إمكانية البحث الالكتروني ثم تنضج أكثر فأكثر فيما بعد، إذن أدعو إلى موسوعة الكترونية خاصة باسم العتبة العباسية الشريفة وباسم هذه الدار المباركة لتكون مصدراً من مصادر البحوث ، وتجعل على المواقع، وهذا ليس حداً أقصى بل ستلاقي هذه الموسوعة من التحديث والتمحيص الى عشرات السنين إن شاء الله ، ولتضم كل ما كتب عن السيرة فينفتح المركز على كل مساهمات الباحثين ، لأن الانفتاح على العقول الأخرى أمر ضروري لتنضيج البحث العلمي ورقيِّه .

ندخل الآن في موازين السيرة النبوية، وأذكر هذا المطلب ، أحد أهم مصادر السيرة النبوية بل التاريخ عموما في بُعده الحضاري وليس بعده التاريخاني المحض فربما هناك بُعد التسلية أو حب الاستطلاع في التاريخ، لكن اذا اردنا من التاريخ

بُعد البناء الحضاري أو بُعد البناء الفكري وبُعد التنمية الإنسانية، فإنّ أحد المصادر المهمة للتاريخ المغفول عنها الثقلان ، كتاب الله وسنة المعصومين، ولتوضيح ذلك نقول: القرآن يستعرض تاريخ البشرية من آدم وقابيل وهابيل وأقوام البشر، ونراه لم يتعرض الى كثير من تاريخ البشر، بل تعرض لمحطات خاصة من تاريخ البشر الصالحين منهم او الطالحين ، فيذكر كيف بنيت الحضارات، وكيف انهارت الحضارات، هذا هو الذي يتعرض له القرآن الكريم ، يتعرض الى الجانب التنموي وجانب البناء للإنسان.

فالقرآن تعرض إلى محطات مهمة وخطرة من تاريخ البشرية ، سواء تاريخ ما سبق ام تاريخ ما سيأتي ؛ لأن في علم التاريخ ما يؤرخ للملحمات والنبوءات المستقبيلة فهو وان كان اسمه تاريخاً لكنه قد يؤرخ ما سيأتي ، فكثير من الكُتاب التاريخيين في عهد المسلمين كتبوا عن الملاحم التي ذكرها أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (سلام الله عليه)، وأحد الفصول المهمة في تاريخ المسلمين الملاحم التي تنبأ بها امير المؤمنين علي بن ابي طالب، فأخبار المستقبل جزء من التاريخ ، وفي الحقيقة القرآن أيضا راعى الماضي والحاضر والمستقبل .

فإذن إذا أريد من التاريخ أن يكون مصدر بناء ومصدر حضارة فلا شك أن للقران الكريم ولحديث المعصومين دوراً فيه، بدءًا بسيد الأنبياء محمدﷺ الى حديث بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام فلهم دور مهم في تمحيص التاريخ، لاسيما فيما نحن فيه ، السيرة النبوية ، وسندلل بدلائل وشواهد عديدة عند كثير من علمائنا المحققين، على حاجة السيرة النبوية الى القرآن الكريم وكلمات أئمة أهل البيت عليهم السلام او الأحاديث المحكمة من الكلمات لسيد الأنبياء (جوامع الكلمة) ، هذا الشخص الشخيص أشخص مخلوق ، فلتة المخلوقات كلها، سيد الأنبياء نحتاج الى الوحي في قراءة سيرته ولا يكفي المؤرخون العاديون، والسبب في ذلك، أن سيرة النبي

ﷺإذا كانت مصدراً وحيانياً فهي تحتاج الى ضوابط الوحي ، هذا أحد الادلة التي مرت بنا الآن .

الدليل الآخر على ضرورة مراعاة موازين الوحي في قراءة سيرة النبيﷺ أن النبي ﷺ ليس ذا بُعد بشري فقط ، لو كان للنبيﷺ بعد بشري فقط لربما اكتفينا فيه بالآليات البشرية، لكنّ النبيﷺ عندهُ صفة النبوة وهي صفة غير الصفات البشرية العادية ، وأيّ نبوة؟! هو نبي الأنبياء وسيد الأنبياء، والأمين المعتمد عند الله (عز وجل) في منتدى الأنبياء بنصوص قرآنية كثيرة ، هذه هي صفة سيد الأنبياء كما يذكر لنا القرآن الكريم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ فلم يكتفِ بقوله ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ، ولم يحصر القرآن حقيقةَ سيد الانبياء في البشرية؟ طبعا ليس له الوهية –والعياذ بالله – إنما هو مخلوق ، فجانب المخلوقية واضح لكن ليس بشراً مثلكم في مستواكم، لذلك وصفه القرآن بعد ذلك بقوله ﴿يُوْحَى إليّ﴾، وحسب ما يقولون في علوم اللغة أن (يوحى) جملة فعلية بصيغة فعل المضارع تدل على الاستمرار أي أنه وحياني أبداً، فالنبيﷺ لم ينقطع عنه الوحي في البرزخ،بل ذات سيد الانبياء تختلف عن النبي إبراهيم وعيسى وموسى ونوح ، هؤلاء (أوحيَ اليهم) ،أما سيد الأنبياء فـ(يوحى اليه)هذا الطابع في سيد الانبياء اذا كان وحيانيا فهل يمكن لهذا الطابع الغيبي الذي ليس في متناول البشر أن يضبطه، ويرصده، ويحيط به البشر؟ لذلك تواتر هذا الحديث القدسي عند المسلمين في تبليغ سورة براءة عندما أراد أبو بكر أن يبلغها عن النبي ، أتى جبرائيل بحديث قدسي عن الله رواه المسلمون متواتراً ، ((لا يبلغ عنك الا أنت أو رجل منك))، هذا يعكس لنا خطورة بحث السيرة ، فلا يستطيع أن يفهم النبي الا (أنت) كيف (لا يبلغ عنك الا انت) ؟ هل النبي اثنان او واحد؟ هذا في علم البديع من علم البلاغة يسمونه عبارة تجريد يعني الشخصية الواحدة تكون طبقتين أو شخصيتين، فانت المبلِّغ والمبلَّغ في آن واحد ،كيف يمكن

هذا؟ يعني الجانب النازل البشري من النبي يبلغ عن جانب قلب النبي الوحياني. اما بدنه الشريف، أو فمه الشريفﷺ أو علي بن أبي طالب أو فاطمة أو الحسن أو الحسين الذين ورد النص عليهم في أحاديث المسلمين (علي مني وانا من علي)، (فاطمة مني وانا من فاطمة) (حسن مني وانا من حسن)، (حسين مني وانا من حسين)، فهؤلاء هم مِنَ النبي، وهم لا يتلقون عن البدن الشريف للنبي فقط ، فهؤلاء عليهم السلام يفترقون عن بقية الصحابة وبقية البشر، ليس مصدر تلقيهم عن النبي هو الفم الشريف لسيد الأنبياء وبدن النبي، يتلقون عن الطبقة العليا عن النبي، وقد شرحها العلامة الطباطبائي (رحمة الله عليه) شرحاً لطيفاً في الميزان، (لا يبلغ عنك) يعني قلب النبي البيت المعمور الملكوتي الا أنت بدنك أو أرواح عترتك، لذلك بعضهم استعصى عليه هذا الحديث المتواتر عند الفريقين. وهذا أيضا أحد الأدلة ، فالإمام علي عليه السلام اختص من بين الصحابة بأنه باب مدينة العلم (انا مدينة العلم وعلي بابها) ، فما بال بقية الصحابة الذين عاصروا النبي وسمعوا من فمه المبارك ،لماذا علي بن ابي طالب فقط ؟ هو هذا السبب، عندما يكون النبي ذا صفة وحيانية – وهي صفة مخلوقة لا صفة ألوهية لكنها عند المصطفين فقط– وجانب الوحيانية في النبي مستمر غير منقطع فلا يدركه كل أحد؛ لذا ليس اعتباطاً أن يكون علي باب مدينة العلم ، والان يقول رواد الفكر الإسلاميون لماذا هذا التخصيص لعلي بن ابي طالب، مع انه حديث متواتر لا نستطيع أن ننكره، لماذا اختص عليٌّ بهذا المقام والكل سمع النبي؟ إذن الوحي ليس أصوات ألفاظ ولا ملاحظة مشاهدة مرئية لأفعال النبي ، السيرة ليست مشاهدة مرئية لسيد الأنبياء فهذه حسية لا تتناول جنبة الوحي التي هي جنبة ملكوتية غير مرئية ، فمن الذي يستطيع أن يتناولها؟ ومن الذي يستطيع أن يرصدها؟.

بحق أقول لكم لقد بيَّن الإمام الصادق والأئمة عليهم السلام أن ابتعاد فقه المذاهب

الإسلامية الأخرى عن مدرسة أهل البيت هو ابتعاد عن حقيقة الوحي النبوي؛ لأنهم لم يفهموا السيرة النبوية لأنهم نظروا بأعينهم وسمعوا بآذانهم لكن لم يعوا الجانب غير المرئي الوحياني ، فالجانب المشاهد الحسي او المسموع لا يغني؛ لأنّ السيرة فيها جنبة وحيانية وليست حساً فقط ، اذا كانت حسا فقط تصدق مقولة قريش او غيرها﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾فهم لا يشاهدون الا هذا.

آتي بمثال آخر، أجمعت علماء الامامية متكلموهم مفسروهم وعلماء الأصول وعلماء الاخبار على أنّ وحيانية القرآن وقُرانية القرآن ليست بالتواتر فقط ، فليس مصدرها التواتر فقط، وقالوا لو كان مصدر قرآنية القرآن التواتر الحسي فقط لكان القرآن كتاباً من كتب التاريخ البشري الأثري، أين قالوا هذه العبارة الخالدة التي امتازت بها مدرسة علماء الامامية ، قالوا ذلك في مطلب: إجماع الأمة من دون تضمنّ للمعصوم ليس بحجة، والعبارة موجودة في كتب الكلام وفي كتب الأصول ، ما مقصود علماء الإمامية إجماع الأمة ليس بحجة وهم خبر الواحد لغير المعصوم لديهم حجة ؟ المقصود لديهم ليس بحجة وحيانية لا أنه ليس بحجة ظنية أو حسية حسية، فالتواتر يفيد اليقين الحسي ، اذن كيف يقول علماء الامامية إن اجماع الامة بأسرها فقهاء وعلماء ونوابغ وزهاد وعرفاء وفلاسفة من دون وجود معصوم لا يكون له اعتبار ، وهذه كلمة خالدة عظيمة، وقاعدة معرفية عظيمة يقصدون بها ليس حجة ظنية ، فهم خبر الواحد كخبر زرارة (رضوان الله عليه) يعد حجة ظنية حسية، فالتواتر لديهم حجة كيقين حسي، لكن هل القرآن يقين حسي؟ اذا كان القرآن حسا فالحس محدود ، اذا كان حساً فإنّ العلوم القديمة والعلوم الحديثة البشرية سواء فلسفية او غير فلسفية أثبتت أن في الحس ٣٠٠-٥٠٠ نوع بل في إحصائية ٨٠٠ نوع، مئات الأنواع لخطأ الحس.

ومن أمثلة خطأ الحس أنك ترى ضفتي الشارع إذا امتد في الأفق أنّ الضفتين تتلاقيان، وواقع الامر لا تتلاقيان ، والعقل يقول بذلك ، فالحس يخدعك فأنت ترى بأم العين أنهما تتلاقيان ، ويكذب العقل ذلك ويقول انا لدي عين أخطأ الحس الصغير فأنا الاب الكبير، وأنا المعلم الكبير وهذا الحس خطأ.

ومن ذلك أننا نرى الكواكب والمجرات البعيدة بقدر رأس الابرة ، فالحس يقول لنا إن المجرات البعيدة والشموس البعيدة ذرات صغيرة لكن العقل يقول هذه احجامها كبيرة، العين العقلية أعظم من العين الحسية ، فلو أخذت ظرفاً فيه نار وأدرته بسرعة ماذا سنرى من بُعدٍ ؟ سنرى حلقة نارية ، الحس يقول لنا أمامنا حلقة من نار والعقل يقول أيها العاقل لا تنخدع بالحس ليست هناك حلقة من نار ، هنالك نقطة من نار تدور بسرعة وتتوارد الصور على العين فلا تستطيع العين أن تميز بين تدفق الصور فترى أنها حلقة وهي ليست حلقة بل هي نقطة ، وهكذا مئات الأنواع من المعلومات، ولا نريد بذلك أن نكون سفسطائيين ، فالحس يُعتَمد عليه لكن ليس هو المصدر الأكبر.

الآن كثير من عموم الناس عندما تسألهم هل في التلفاز صور متحركة؟ يقول لك قطعاً صور متحركة ، والعلم يقول : لا يوجد لصور متحركة حقيقة، بل هناك الاف الصور تبث في الثانية على حالات مختلفة فترى أنها صور متحركة ، هي لقطات مختلفة للحركة تراها صوراً ثابتة يخادعك الحس فتراها حركة ، اذن كما قال علماء الإمامية: الحس لا يحيط بالحس، كم من محسوس يتقاصر عنه الحس، الحس لا يحيط بالحس فكيف يحيط الحس بغير المحسوس غير المرئي؛ لذلك قال علماء الامامية :إجماع الائمة ليس بحجة، اذن القرآن لا يمكن أن يكون مصدره تواتر الأمة فقط.

والمائز بيننا وبين ما يدعيه البوذيون والهندوس والنصارى وإن كنا نعتقد بالانجيل ولكن هناك تحريفات أبعدته عن واقعه، وهذا مهم أن سيرة النبي عندما لا تكون

حساً فقط فذلك يجنبها التحريف لأنّ أكثر اشتباهات الرواة من الحس ، ويذكر ذلك ائمة أهل البيت ، فاشتباه تشريع علماء المسلمين متأتٍ من ان الراوي لم يُحط حسه بالدقة في سيرة النبي ولم يسمع بالدقة كلمات النبي ولم يفهم بدقة حركات النبي، النبي ﷺ تلؤلؤ وحياني وكتلة وحيانية ، فالضمير في ﴿ إن هو إلا وحي﴾ -خلافا لكثير من المفسرين حتى الخاصة- لا يرجع الى نطق النبي بل يرجع الى كل كتلة النبي من كل طبقات وجوده، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ ، كل النبي كتلة وحيانية في مورد القرآن ، يقول تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ ففي هذا البيان وبيانات آخرى يقول القرآن إنّ النبي وحياني حتى في بدنه ، ففي حركات بدنه سيرة تشريعية، فلكم في رسول الله، في حركاته، وسكناته، ولفتاته أسوة ، وفي البخاري حديث لطيف وهو موجود في مدرسة اهل البيت ، أحد الرواة يقول منعتني قريش أن أكتب عنك كل ما تقول يا رسول الله وقالوا إنك تغضب وترضى فلا تنقل عنه كل شيء، قال : ما يخرج الا وحي . ففعله كله وحي ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

إذن نحن نتكلم على سيرة شخص هو مخزن كل الوحي ، وفي الروايات حتى جبرائيل يحتاج الى النبي في الوحي ، هذا بحث طويل لا أريد أن أخوض فيه فقد اتفق أكثر علماء الفريقين على أن نزول القرآن نزولان، النزول النازل للقران وهو شأن جبرائيل ، والنزول الفوقي الدفّعي في القرآن وليس لجبرائيل نصيب فيه، فهو فوق مستوى جبرائيل، ويذكر ذلك الطبري في تفسيره وهو من كبار علماء مفسري العامة . فإذا كان سيد الأنبياء وحياً كما هو واضح الآن، فلا يستطيع أن يفسر الوحي ولا يبلغ عنه إلا الثقلان .

دعوني الآن أذكر فهرسيا الموضوعات التي كنت أريد أن أخوض فيها:

أولاً: الرؤية الكلامية لها دخالة مهمة في بحث السيرة، وليس بالإمكان أن يكتب أحد عن سيرة النبي من دون أن يعي كلاميّاً شؤون النبي ومقاماته ، إذا كان بعض زوجات النبي تتعاطى مع النبي تعاطياً لا يناسب مقامه الشريف ؛لأنها لا تعي حقيقة النبي كما تعيّ فاطمة ﷺ، إحداهن سئلت كيف يأتي النبي النساء مثلا؟ قالت مثل البقية، وإن كانت هي نفسها لها كلام آخر قالت فيه هو قرآن مجسم ، وهذا صحيح، إذا كان النبي قرآناً مجسماً فالقرآن تأويله لا يعيه البشر. فمن شرائط البحث في السيرة النبوية أن تكون لدى الباحث خلفية كلامية قوية وإلا لن يعي السيرة النبوية.

ثانياً: النقطة الاخرى أيضاً في هذا المبحث يجب أن يكون لدى الباحث إلمام بالعلوم الدينية كأصول الفقه، وعلم الرجال وغيرها ، وإلا من الصعب المستصعب عليه أن ينقح كثيراً منها .

ثالثاً: لابد من الرجوع في تنقيح السيرة النبوية الى محكمات الكتاب ومحكمات السنة، اذا لم نع شخصية النبي في الكتاب والسنة لم نستطع أن نفهم حركات وسكنات الرسول.

نقطة أخرى يمكن الرجوع الى سيرة النبي في تفاصيلها الى القرآن، لأن الكثير من كبار علماء الإمامية ومنهم العلامة الطباطبائي، يقول :القرآن عبارة عن مشهد أو فلم يستعرض بعدسته سيرة النبي خلال ثلاث وعشرين سنه، فأكبر مصدر للسيرة هو القرآن الكريم ، وأقصد محكمات القرآن وكذلك روايات أهل البيت.

رابعاً: الفحص والتنقيب ليس له سقف، حسم النتائج بسرعة ليس فخراً علمياً، الفخر العلمي أن يكون الإنسان دؤوبا في تحري الأمور، شعاره أن العلم لا يسدُّ بابه، لا أقول لا يغتنم الإنسان النتائج ولكن لا يحسم النتائج كنتائج نهائية بل عليه المواصلة وهذا شعار علمي ، أما أن يسارع في الإنكار أو يسارع في الإثبات فليس

هذا من التفوق العلمي الكبير ،أما أن يختزن المعلومات فهذا نهج علمي قويم،لكن الحسم والإبرام بسرعة نفياً او اثباتاً غير سليم .

خامساً: نقطة أخرى مهمة جداً ، كثير من المسلمات في السيرة النبوية ليس لها مصدر قويم، وكتبتها أقلام بني أمية وبني العباس أو من قبلهم ، كل الذين كتبوا في السيرة النبوية هم أقلام السلطة ودعاة السلطة ووعاظ السلطة؛ لأن السلطة ما كان همها أن تعلي من قدر النبي كان من شأنها أن تخفض من قدر النبي ، هذه نكتة مهمة أن الكثير من المسلمات يجب أن يفحصها الإنسان ، ومما يؤسف عليه أنه حتى في الكتابات الخاصة أخذ ما كتب في كتب المدارس الإسلامية الأخرى بوصفها مسلمات ، وهذه طامة كبيرة.

أعظم من نرجع اليه في تحقيق السيرة النبوية كما مر محكمات القرآن لا متشابهات القرآن ، ومحكمات حديث المعصومين عليهم السلام.

سادساً: نقطة أخرى أيضاً في هذا المجال ، يجب الالتفات إليها ، وقد ذكرتها في بداية البحث ولكن أعيد تذكير الإخوان بها هي أنّ كثيراً من النتائج التي سنرصدها في سيرة النبي ستؤثر في الفقه وفي العقائد وفي التفسير وفي بناء مسار المسلمين ورؤيتهم، والآن عندما شاهد الغرب ظاهرة داعش والقاعدة وطالبان والإرهاب والتطرف الذين هم صنعوه ، قالوا على المسلمين أن يراجعوا مصادرهم، فأحد أخطر الأمور في التحريف للقران ليس تحريف ألفاظ القرآن ، فألفاظ القرآن بالضرورة لا يأتيها الريب او الباطل لكن معاني القرآن حرِّفت، وأذكر لكم آية راجعوها في كتب التفسير فهي محرفة حتى عند الخاصة ، ما هذه الآية ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هاتان الآيتان فسرتا على أنه لا حاجة لك بالتفتيش في التاريخ ، انبذ التاريخ ولا تفحصه ، والحال أن الآية بحسب تفسير أهل البيت عكس ذلك، فأنت مسؤول عن تحديد الحقيقة في

التاريخ؛لأنها سترسم لك المستقبل .

أذكر هذه فقط وأختم، قبل مدة أصدرت الدولة النمساوية قراراً بهدم المنزل الذي ولد فيه هتلر وهو على الحدود النمساوية الألمانية، مما أحدث اعتراضا دوليا، والسبب الأساس لهذا القرار يعود الى أنّ بقاء المنزل سوف يكون رمزا للنازية، ويولّد بعد حين آلاف النازيين، فالنازية قتلت اكثر من مائة مليون انسان في العالم. فالآثار والرموز لها تبعات لا بد ان يلتفت الباحث لها، فإما ان ننقل صورة مشوّهة عن سيرة النبي الأكرمﷺفيتولد منها داعش وطالبان وغيرهما من الحركات المتطرفة، أو أن ننقل سيرة تتجسد من خلالها الروح الحقيقية للاسلام الناصع، فيتولد منها نور أهل البيت عليهم السلام. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

الندوة الثانية

محمد ﷺ

الندوة الثانية

خاتمية النبي محمد ﷺ في ضوء القرآن والسيرة

حاضر فيها

سماحة السيد محمد طاهر الجزائري (دام توفيقه)

المكان: قاعة مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

التاريخ:٢٠١٧/٣/٣م

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان اللعين الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين . اللهم وفقنا لإحياء الشرع بالعمل الصالح يا ربَّ العالمين .

غير خفيٍّ ما جرت عليه سنة الله تعالى في أوليائه من الأنبياء والمرسلين من تعليم الحكمة والكتاب، قال الله تعالى:﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ*فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ، وقال الله تعالى في حق عيسى بن مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ * قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ* إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ(٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وكذلك في قوله تعالى في سورة المائدة:﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وورد في حق النبي أيوب: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾.

هكذا جرت سنة الله في أوليائه من الأنبياء والمرسلين ،ولم تتخلف هذه السنة في حق نبينا الأعظمﷺ حتى ورد في آيات شتى ذكر الكتاب والحكمة كما ورد في دعاء إبراهيم ، قال الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ* إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وورد في آية أخرى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وورد في آيتين أخريين هما قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، هكذا لم تتخلف تلك السنة في حق نبينا محمدﷺ بل ورد في لسان أئمتنا ، على لسان الزهراء عليها السلام ذكر آثار الحكمة وذكر الكتاب

وهي كشف الظلمة وهداية الناس ، قالت الزهراء ﷺ : ((واصطفاه قبل أن ابتعثه ، اذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله تعالى بمآيل الأمور)) ثم قالت: ((فرأى الأمم فرقا في أديانها عكفا على نيرانها عابدة لأوثانها منكرة لله مع عرفانها فأنار الله بأبي محمد ﷺ ظلمها وكشف عن القلوب بهمها وجلا عن الأبصار غممها وقام في الناس بالهداية فأنقذهم من الغواية وبصرهم من العماية)) .

جُعلت الحكمة وتعليم الكتاب من القرائن الحافة في كل نبي ومرسل ، ولم تتخلف تلك السنة ، بل افتخرت الزهراء ﷺ بأن الرسول قد كشف تلك البهم، وتلك الجهالات ، ومعلوم أنه بإجماع المسلمين وكذلك بالنصوص الصريحة أن النبوة ختمت بمحمدﷺ، يقول الامام الكاظم ﷺ في رواية- ما مضمونه-: يا هشام ، إن لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وهم الأنبياء والرسل، وحجة باطنة وهي العقول، فإذا ختمت النبوة بمحمد ﷺ فلا يبقى الا الحجة الباطنة وهي العقول ؛ لذا يمكن القول بفخر إن الرسول الأعظم ﷺ أعطى للعقول سلطانا ، أعطى للعقول مملكة أعطى للعقول حقها ، هكذا حرر البشرية ، وقد أشارت الزهراء (سلام الله عليها) بقولها: ((فرأى الأمم متفرقة ،عُكَّفاً على اصنامها)) إلى أن البشرية لم تنتفع من الأنبياء السابقين مع تعليم الأنبياء السابقين للحكمة والكتاب كما انتفعت بمحمد ﷺ، حتى سئل الإمام الرضا ﷺ: ما الحجة اليوم؟ قال: العقل تعرف به الصادق فتصدقه .

الأمر الأساسي الذي أفرزته خاتمية النبي ﷺ هو تحرير العقول وإعطاء العقول سلطاناً. ما المراد من العقل؟ العقل هو تلك القوة المُدْرِكة التي وهبها الله تعالى ، وعند العلماء يسمى هذا العقل بتسميات شتى وبصفات مختلفة واعتبارات متعددة

، فكثيرة هي إطلاقات العقل كما نجده في الحكمة ، فباعتبار المدرك أو المتعلق يقسم العقل إلى عملي ونظري فإن كان المدرك هو ما ينبغي أن يُعلَم يسمى عقلاً نظرياً مثل ادراك البديهيات وإدراك الأمور الأولية نحو الكل أعظم من الجزء . وفي قباله العقل العملي وهو إدراك ما ينبغي أن يُفعل وما ينبغي أن يُعمَل ، كإدراك حسن الكرام، وحسن الشجاعة، والسماحة.

ولبيان مناشئ العقل العملي – وأعتقد أن هذا الأمر لابد من اثارته والتأمل فيه وإعمامه؛ لأن مدار الحروب والتصارع ومدار معترك المذاهب والأديان ،ومعترك السياسيين اليوم هو هذا المحور- نقول : نحن نعتقد أن الانسان فقير في ذاته ، يفتقر في سد نواقصه وحاجاته ، ويفتقر في طريق استكماله إلى الاجتماع ببقية أفراد نوعه من البشر ،وهذه معلومة بديهية ، كل انسان يستشعر هذا المعنى ، فيفتقر الى وظائف شتى، الانسان يفتقر الى الطبيب والمهندس والنجار والفلاح، لا يستطيع الانسان أن يسد نواقصه جميعها ، وسوف تأتي إشارة إجمالية في قول النبي الى هذا المطلب مع أنه مطلب عقلي أقره الفلاسفة وجميع العلماء ؛ لذا يقال بحق : الانسان اجتماعي بطبعه أو مدني بطبعه ،أي بحسب طبعه وبمقتضى طبعه يفتقر لسد نواقصه إلى الاجتماع ، وهذا الاجتماع مع بقية أفراد النوع يحتم أن يكون هناك قانون والا فالاجتماع بلا قانون وبلا سنة أو أداة تقاس عليها الأفعال يحول المجتمع إلى مجتمع غاب ؛ لأن تعدد الوظائف يوجب تعدد الحقوق بين كل فرد وآخر، وسلب الحق قبيح يجعل المجتمع مجتمع غاب؛ لذا فان الاجتماع (اجتماع البشرية) أوجب ان يكون هناك رفض من البشرية بحسب طبعها للظلم، هذه المعلومة البديهية ان الانسان بحسب طبعه يستشعر نقصه فيستكمل باجتماعه ، وان اجتماعه يفرض عليه قانونا وان قوام ذلك القانون انما يكون برفض الظلم ، هذه الحقيقة سابقة على الاديان ،وهي التي توجب الإصغاء للأنبياء ، وإلا اذا لم يكن هناك قانون يقبح ذلك ، فلا أصغي الى

نبي، ولا يلزم ذلك كفراً .

ومن جملة ما نقرأ في القرآن الكريم هذه البديهية (رفض الظلم) ، ففي قوله تعالى على لسان لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ * إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ الظلم العظيم أصبح دليلاً على التوحيد لأن الظلم مرفوض بطبيعة البشر، بل إن من يقرأ القرآن بوجدان يستشعر تلك المعاني فيجد أن الايات مبثوثة بذكر الحق ورفض الظلم ، وأن هذه الحقيقة سابقة على الدين ، وقد أثبتنا بمقتضى هذا البحث أن هناك قانوناً سابقاً على الشريعة وإنما جاءت الشريعة مرشدة الى هذا القانون؛ لذا أجمع علماؤنا على أن الشرع الحنيف لطف في الأحكام الواقعية ، واللطف هو المُقرِّب، فلهذه النكتة نستشعر معنى كون محمدﷺ يتيم بني هاشم، خاتمَ الأنبياء، لأنه أعطى العقل سلطاناً ، وأحال البشرية الى مسرح العقول، الى التصارع بمقتضى العقول لا التصارع بمقتضى الشهوائيات والقوى الغضبية .

ولو تصفحنا بعض محاججات النبيﷺ نرى أن العقل والالزام العقلائي وتحكيم العقل سواء أكان عقلاً نظريا ام عقلاً عمليا نراه في غاية الوضوح ، بل إنه رفض أن يكون هناك إعجاز في الجملة. وهناك شبهة تثار الآن وهي أن الرسول نهى عن المعجز وتبرأ منه، نقول إن الإعجاز موجود لكنه له مورده ، وقد رفض النبيﷺ الإعجاز إن كان من المحسوس الى المحسوس ،اما اذا كان لفوائد عقلائية كتحرير العقول فهو في أقصى مراتب الإعجاز ، وكانت هناك آيات في ذلك ، بل من أقصى غايات الشريعة نقل الانسان من عالم المحسوس الى عالم المعقول .

لنقرأ بعض الشيء من احتجاجاته ونستشف ما عند الرسول ﷺ من محاولة تحرير العقل البشري، فمثلا اجتمع عليه أرباب الأديان من الدهرية والثنوية والنصارى واليهود كما في كتاب الاحتجاج الجزء الأول (احتجاجات النبي) ،

فقالوا: إن المسيح ابن الله ،وقالوا غير ذلك، فتصدى لهم الرسول ﷺ وقال لهم : أعندكم شيء آخر؟ لم يرفض الحجة ولم يرفض المجادلة ، هذه روايات صريحة وكتاب الاحتجاج أخباره موثوقة ، فأغلبها مأخوذة من مصادر وأصول معروفة ، لم يرفض النبي هذه الحجج ، بل قال في أكثر من عبارة : أعندكم غير هذا الكلام؟ ثم بعد ذلك احتج عليهم الرسول ﷺ بأروع البيان، وأروع البيان لا تجد فيه ثغرات مهما حاولت ، فبهت القوم وتحيروا ، وقالوا : يا محمد أجِّلنا لنتفكر بما قلت لنا، فقال لهم : انظروا فيه بقلوب معتقدة للإنصاف . والانصاف مطلب بشري انساني قبل أن يكون مطلباً دينياً، لابد أن يكون هذا التعبير عن الإنصاف ؛ لأن الانصاف يحقق قانونا هو أن قوام الدنيا بالانصاف وبالعدل هكذا أراد النبي ﷺ وهكذا حكم بمطلب العقل النظري الذي عبرنا عنه كما في مسألة الظلم التي أشرنا إليها على لسان لقمان ، الرسول يقول انظروا فيه بقلوب منصفة ، قوام القانون بالإنصاف، هذه نكتة ومطلب مهم في غاية الروعة.

ثم أشار الى نكتة أخرى أنّ هذا العقل النظري ولزوم الاستحالات موجود ، حين احتج على النصارى ،قال : ((وانتم قلتم إن القديم عزوجل اتحد بالمسيح ابنه، فما الذي أردتموه بهذا القول ؟ أردتم أن القديم صار محدثاً لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى او المحدث الذي هو عيسى صار قديما)) هذا تعبير فلسفي ، دعوة الانقلاب من الحديث الى القديم مستحيلة استحالة فلسفية في علم الفلسفة ، وتكاد تكون استحالة بديهية ، فالقديم لا ينقلب الى حادث والحادث لا ينقلب الى قديم ، نراه استعمل هذه الحجة العقلية ولم يستدل الا بما عند البشر قال: ((فإن أردتم ان القديم تعالى صار محدثا فقد أبطلتم لان القديم محال ان ينقلب فيكون محدثا)) وهذا تعبير فلسفي في غاية الروعة ، وتعبير أجل وأوضح من تعبير الفلاسفة ، اذن لم يخرج

النبي من دائرة البشر.

ثم ذكر شيئاً آخر أحال فيه الى ما استدل به في قبال اليهود ، إذ قال اليهود : إن العزير ابن الله ، فاستدل الرسول عليهم: ما الذي دعاكم الى القول بان العزير ابن الله؟ قالوا : لأنه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعدما ذهبت، ولم يفعل ذلك إلا لأنه ابنه، قال الرسول: فكيف صار عزير ابن الله دون موسى، موسى أحدث التوراة فالمفروض أن يكون هو ابن الله ، قال : ((ولئن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالنبوة أولى وأحق)). هكذا كان يستدل بمقتضى طبيعة البشر ، وإلزاماته تكاد تكون واضحة جلية.

وبعد أن أبطل أن يكون ابنا لله ؛ لأنه لا يمكن أن يكون حادثاً قديماً ، تلك القصة التي قرأنا قسما منها في حق عيسى، ذكر لهم في قولهم إنه ابنه على نحو الكرامة لا الحقيقة ، إذ قالوا: لسنا نعني هذا ؛ فإن هذا كفر كما ذكرت ، لكننا نعني انه ابنه على معنى الكرامة وان لم تكن هناك ولادة، فألزمهم بدليل آخر في غاية الوضوح والروعة ، قال: اذا كان على نحو الكرامة ، جاز على الله أن يقول ذلك لموسى ؛ لأنه أولى من العزير ، هل تقبلون ذلك؟ هكذا رائعة الاستدلال ،هكذا وجدانية الاستدلال وإنسانية الاستدلال.

نقرأ مقطوعات أخرى من الروايات، هناك نزاع مع اهل المادة ، في مسألة الالحاد في نظرية دارون او نظرية المادة وقدم المادة، نحن لو توجهنا الى احتجاجات النبي لوجدنا ما يفي؛ لأنها احتجاجات فلسفية واضحة وهي احتجاجات بمقتضى العقول ، وكلام النبي إرشاد وليس تأسيساً، قال: ((أفوجدتم لها قدما أم وجدتم لها بقاء أبد الأبد ؟)) ماذا تدعون أنها في المستقبل لا تنقطع أم انها في الماضي وغير منقطعة؟ ((فإن قلتم ذلك أنكم وجدتم ذلك انهضتم لأنفسكم انكم لم تزالوا على

هيئتكم)) يعني أنت قديم أيضاً، وإلا كيف ادركت انها قديمة؟ كيف أدركت أن المادة قديمة ؟ هل شاهدتها بعينك فأنت قديم إذن، واذا نقل اليك بأن المادة قديمة فمن هذا الناقل؟ هذا التوقيف وهذه الإحالة إحالة الى غير المحسوس ، هذا منهج في مقابلتنا للماديين ،من أثبت أن المادة قديمة ؟هل هناك تأريخ أثبت ؟هل هناك إحالة على امر مادي محسوس ملموس او انه إحالة الى أوهام ؟ هذا النقاش منهج حقيقي بحت، قال: ((انكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية ولاتزالوا مستمرين –حتى تشهدون على بقاء الدنيا او بقاء المادة – وان قلتم هذا دفعتم العيان وكذبكم العالمون الذين يشاهدونكم))، فعمرك محدود، كيف تدعي أن المادة قديمة قبل ملايين السنوات، ((قالوا: بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاء ، قال :فلم صرتم تحكمون بالقدم والبقاء دائماً لانكم لم تشاهدوا حدوثها ، وانقضاؤها أولى من تارك التمييز لها مثلكم ، فيحكم بالحدوث)) لم يجابهم بدليل معوج ، جابههم بأتم حجة، فأنت لم تشاهد، فهات دليلا على اثبات المادة ، هات دليلا علميا . وهناك دليل آخر:

((أتقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناه ام غير متناه فان قلتم غير متناه فكيف وصل اليكم اخر بلا نهاية لأوله)).

وهناك ادلة أخرى في نقاشه للثنوية ، فقد ذكروا أننا رأينا النور والظلمة فجعلنا لكل منهما ربًّا، أحال اليهم بأن النور والظلمة ضدان ، والأضداد متكاثرة متناثرة في الدنيا فقال لهم رسول الله ﷺ: ((أفلستم قد وجدتم سوادا وبياضا وحمرة وصفرة وخضرة وزرقة؟ وكل واحد ضد لسائرها لاستحالة اجتماع اثنين منهما في محل واحد، كما كان الحر والبرد ضدين لاستحالة اجتماعهما في محل واحد؟ قالوا: نعم ، قال: فهلا أثبتتم بعدد كل لون صانعا قديما ليكون فاعل كل ضد من هذه الألوان غير فاعل الضد الآخر؟!)) هكذا كان الاستدلال في غاية الوضوح، لم يكن استدلالاً بمقتضى إعجاز ، كان استدلالاً بسيطا في غاية الوضوح.

ونستظهر معنى آخر ، هناك استدلال على ما ذكره الماديون في حق الله سبحانه ، يقول الرسول ﷺ: ((وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال))اذ حاولوا أن يصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين فقارنوا بين المخلوق والخالق، وجعلوا الصفات عليه، وذكر اليهم : فأي فرق بينه إذن وبين سائر ما يحل فيه من لونه وطعمه ورائحته ولينه وخشونته وثقله وخفته؟ هذه الأمور المخلوقات يلزمها هذا الشيء ، الثخونة حتى ترى وتشغل حيزاً ، الزمهم بهكذا بيان ،كان يتصدى بهكذا استدلال ، كان يتصدى للمعاندين ولم يكن معانداً، العقل والانصاف هو محور البحث.

نستظهر شيئاً اخر ، لعله يكون فيه شيء مما نبحث عنه، ذكر في بعض استدلالاته أن المجتمع لابد ان يكون فيه تعدد وظائف وأن يكون فيه اجتماع، تعدد الوظائف يوجب قانونا قال: ((فترى أجل الملوك وأغنى الأغنياء محتاج الى أفقر الفقراء في ضرب من الضروب)) الملك يتوقف شغله على الفلاح يحتاج أكلاً ، ويحتاج إلى آخر معه سلعة ليست مع الملك او خدمة يصلح لها، المجتمع يحتاج الى طبيب والى عامل خدمة، هذا هو المطلب العقلائي.وهذا المطلب يحيلنا الى نكتة اجتماعية حاصل هذه النكتة أن الرسول محمد ﷺ قال لأبي جهل : يا أبا جهل، انت تريد مني أن اكون فلاحاً ، انت تريد مني انشاء بستان في الطائف. قال: نحن عناويننا متعددة، هذه إشارة لطيفة الى تعدد الوظائف ، الحقيقة نحن نواجه المطلب المادي فنسأل سؤالاً والانصاف بين أعيننا؛ لان هذا السؤال سعره الالحاد وغير الالحاد، هل ما يدركه الانسان بحواسه الظاهرية اكثر مما يدركه بأوهامه، يكاد يكون ما يدرك بالحواس محدودا معدوداً مع انه ما يدرك بالاوهام الكثرة الكاثرة مثلاً أنا أعبر عن شخص معين بأبي شبر أو أعبر عنه بأنه انسان أو أعبر عنه بأنه طالب علم أو تاجر ، هذه عنوانات متعددة متكاثرة متناثرة ، هذا هو رجل واحد وما ادركته بالحس هو هذه

الوحدة واما الاحكام الاعتبارية فأعبر عنه بأنه زوج أو أنه مالك ، كل هذه احكام وهمية لها مقتضيات ، هذا تعدد وظائف وتعدد اعتبارات موجب الى ان كل انسان يعرف حده ،يعرف ما يطلب منه ، فلا آتي الى دكتور بالفقه وأقول له انا عندي سعال، كذلك تصدى النبي بهذا الاستدلال بحاجة الناس بعضهم لبعض ، قال بأن النبي لا ينبغي ان تطلب منه شغل مزارع ، نحن كذلك ندعي أن ما يدركه الانسان بوهمه ، وما يتأثر به الانسان بما يدرك بأوهامه أوسع واكثر مما يدركه بأبصاره وبمحسوساته، ألا يكرر صاحب الفكر المادي التجربة ، لابد من تكرار التجربة ، المقايسة بين تجربة وأخرى هل هو حكم ملموس محسوس أو حكم وهمي؟ اذا انتقلنا الى الاحكام الوهمية نقول بأن هناك ظلماً .

هذا من جملة ما أشار اليه الرسول ﷺ ، نحن ندعي بأن العلم كما نسب للرسول ﷺ ، العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان، ذكر الابدان وذكر الأديان هذا من باب المثال وإلا علم الابدان يشبه علم الهندسة، كما ان علم الاديان يشبه علم القانون، ندعي بأن العلوم المادية لها مرتكزات وتعلل بموضوعها، الطبيب يبحث في البدن يجد عدم المناسبة بين الانزيمات مثلاً يعني بأن الانسان مريض، اما المحامي فلا يبحث في جسم الانسان ليجد تلك العلل حتى يصف الانسان بأنه لص، انما يقيس فعله لا بدنه على القانون، فاذن هناك فرق بين ما تطرحه المادة من تكنولوجيا وما يطرحه العلماء من أفكار ، مقايسة احد العلمين على الاخر مما لا ينبغي، أما القول بأن العلم الحديث تطور وانتم على فكركم نفسه، هذا اشكال منطقي في الأصل ، العلم علمان كما ينسب للرسول ، يجب إعطاء كل ذي حق حقه.

ملخص الحديث أن الأنبياء استدلوا بالحجج الباطنة وهي العقول، ولم تتخلف هذه السنة مع نبينا لكنه جعل خاتماً ،كيف جعل خاتماً ؟ لانه أعطى للعقل سلطانا ، أي عقل؟ العقل النظري والعقل العملي. بهذا المعنى نتحسس قول الرسول ﷺ : ((علي مع الحق والحق مع علي)) . المعية تقتضي اثنينية ،هناك أمور واقعية تحكم بهذا المعنى نتحسس أن ائمتنا مرشدون هداة للخير كما ورد في آيات كثيرة، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فإذن هناك أمور واقعية ، وهذه الأمور الواقعية سابقة رتبة على الدين وهي حاكمة على الدين واهل الدين،لابد من محاكمة تلك الأمور الواقعية والسير بمقتضاها ، العقل يعرف حدوده ثم يستعين بآلاته. سئل الامام الرضا : ما الحجة اليوم؟ قال : العقل تعرف به الصادق فتصدقه .

أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لكل خير والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله .

للبحوث والدراسات
الساعة التاسعة صباحا

ضمن فعاليات ملتقى السيرة تقيم دار الرسول الأعظم ﷺ التابعة
لمركز العميد الدولي للبحوث والدراسات ندوة علمية بعـ
خاتمية النبي محمد ﷺ في ضوء القرآن و
يحاضر فيها سماحة السيد محمد طاهر الجزائري(دام ظ
على قاعة مركز العميد الدولي للبحوث والد
يوم الجمعة الموافق ٢٠١٧/٣/٣ الساعة التاسعـ

الندوة الثالثة

محمد ﷺ

المبعث النبوي الشريف نور وهداية

حاضر فيها
الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي الياسري
المكان:قاعة الامام القاسم عليه السلام
التاريخ:٢٠١٧/٥/١٩م

ما انفكت الأقلام تكتب عن السيرة النبوية الشريفة قديماً وحديثاً ، ولكن تبقى السيرة موضوعاً غضاً يتعاطى معه الباحث من جوانب متعددة ، فقبل أسبوع عقدت ندوة في أمريكا عن التاريخ الإسلامي وشخص الرسول الأعظم ﷺ؛ لذا فإن المشروع الذي تسعى دار الرسول الأعظم ﷺ إلى النهوض به موضوع حيوي ومهم لاسيما أن المشرع يتخذ القرآن الكريم أساساً لترجمة سيرته ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣)﴾ .

اختلف الرواة سواء من الصحابة كانوا أم التابعين أم تابعي التابعين في الآيات الأُوَل التي نزلت على صدر رسول الله ﷺ وهناك زهاء خمس أو ست روايات ، ولكن الأكثر رجحاناً أنها الآيات التي نزلت في غار حراء أو بين شعاب الجبال عندما كان يرعى الغنم ، وهذه الآيات هي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾.

وإذا أنعمنا النظر في هذه الآيات الكريمات التي تمثل فجر البعثة النبوية بنزول الوحي على قلب الرسول ﷺ ، نجد أنها تمثل أسَّ الحضارة الإنسانية ؛ لأنها تتضمن عناصر الحضارة ، ففيها القلم والكتابة والعلم والتعلم والتعليم ، وفيها التفكير في شؤون الخلق والكون ، وهذا أنصع دليل على أن الإسلام دين إنسانية وقيم عليا ، ولا وجود للعنف والإرهاب أو التدمير فيه ، وهو ما سعت وسائل الإعلام الغربية المغرضة والحركات الشاذة إلى لصقه بالإسلام ، وكان من نتائج ذلك أن شجعوا مثل أولئك الخراصين أن يرسموا الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة الى رسول الله ﷺ في الدنمارك أو السويد أو في لندن وباريس وواشنطن و نيويورك ،فرسموه شاهراً

سيفه في يمينه ، يتقطر منه الدماء مشيرين بذلك الى القتل والإرهاب ، وفي يده الأخرى يحتضن القرآن الكريم . فأين هذا التصور والمفاهيم السادية في هذه الآيات الخمس ؟ وأين الإرهاب في الدين الإسلامي والقرآن الكريم الذي دفع القس جون في مدينة فلوريدا في الولايات المتحدة الامريكية والقساوسة الآخرين المبشرين إلى أن يقدموا على حرق القرآن الكريم أمام ملئهم الخاص؟!

فإذا ما انتقلنا من هذه الآيات الخمس الى آخر آية نزلت على صدر رسول الله ﷺ ، فهناك سبعة أو عشرة آراء في آخر الآيات، أرجحهن الآية الطويلة المفصلة في سورة البقرة آية رقم ٢٨٢ التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ وهذه الآية جميعها إنما تشير الى موضوع الكتابة ، والقراءة ، وكتابة العقود سواء عقودًا تجارية كانت أم عقودًا غير تجارية ، وفيها من التعبيرات الحضارية الرائعة مثل كاتب العدل الذي هو مؤشر على العدالة الإنسانية ، ومثل الإملاء، والتجارة، والشراكة، وعقود البيع أو الشراء، وهذه الآية كلها تدور حول هذه المباني وهي مباني الكتابة، وفوق هذا وذاك فإن هذه الكتابة والاملاء لا تكون كيفما اتفق بل كما علمه الله ، وهذا كلام بليغ جدا .

وإذا أخذنا برواية أخرى من بين هذه الروايات السبع أو العشر المتعلقة بآخر الآيات النازلة ، فإنها جزء من الآية رقم ٢ في سورة المائدة ، قال الله سبحانه:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ وهذه الآية تعد أوج الآيات دلالة على كمالية الإسلام وكماله وعالميته.

ومن هذا المنطلق اخترنا أن يكون عنوان هذا البحث (المبعث النبوي الشريف نور وهداية) وقد تجلى ذلك في الآيات الأُوَل النازلة على النبي محمدﷺ وكذلك

في آخر الآيات نزولاً ؛ إذ يمثل المبعث النبوي الشريف الإطلالة الأولى للدين الإسلامي الحنيف الذي لم يكن في الحقيقة حكرًا أو محصورًا بالقريشيين والمكيين في مكة ولا لعرب الجزيرة إنما هو دين للعالمين .

ويعد المبعث النبوي الشريف نقطة تحول ومنعطفاً مهماً جدا وحيوياً في تاريخ الجزيرة العربية وفي التاريخ العالمي ، بل في تاريخ الأديان السماوية وغير السماوية، وكلكم يعلم أن يهود بني إسرائيل كانوا يقرأون في التوراة ويتدارسون في مدارسهم أن نبيًا جديدًا سيظهر من على جبل فاران وهذا النبي من بين ظهرانيهم أي من اليهود ، وجبل فاران هو أحد جبال مكة الثلاثة حسب ما يقول الجغرافيون ، ومن بينهم الجغرافي ياقوت الحموي في كتابه المشترك ، وتمثل فاران صحراء مكة أو وادي مكة أو واديًا معروفًا كبيرًا في الحقبة الإسلامية مقاربًا الى وادي بيشة ، وقد جاء في سفر التثنية في الباب ٣٣ الفقرة الأولى ما ترجمته من العبرية الى العربية : ((جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبال فاران ومعه نار الشريعة لهم)) لذلك نرى أن اليهود هجروا مناطقهم في فلسطين ، وأخذوا يسكنون مدينة يثرب معتقدين أن جبل أحد هو جبل فاران ، وكانوا ينتظرون أن يظهر النبي الجديد من جبل أحد ، ولكن حسب ما تعرفون فإن أحبارهم كانوا يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم كما يقول القرآن، كانوا يعرفون من هو الرسول القادم ؟ انه نبي عربي جديد سيظهر من منطقة الجزيرة العربية ولكن تناسوه ، وكذلك فان اسمه أحمد في التوراة والانجيل على لسان عيسى ابن مريم ، ومع ذلك كان اليهود يدَّعون أن نبيًّا من بين ظهرانيهم سيظهر ، وفي الكتب غير السماوية في كتب ماني، يقول إن احداثاً خطيرة ستظهر في منطقة الجزيرة العربية لم يحددها ولكن بحسب رواية زيد بن عمر بن النفيل الذي كان يجوب البلاد في العراق وبلاد الشام باحثا وراء الدين الابراهيمي حسب هذه الرواية ، يقول: انه استفسر من المجوس في العراق ،

أين أجد الدين الابراهيمي؟ قالوا له: إن أزفت الآزفة سيظهر وراءك في منطقتك ، هذه الرواية تروى في جميع الكتب التاريخية على أن زيد بن عمر بن النفيل رجع الى مكة والمجوس فأعطوه صفات النبي، والرواية ربما تكون خاضعة للبحث والتحليل لكنها تؤشر أن المجوس كانوا يعرفون أيضًا بأن حدثًا جديدًا سيظهر في عالم الديانات ، وهو انبعاث رسول الله ﷺ ،وعلى هذا الأساس قلت في المقدمة: إن المبعث النبوي الشريف يعد إطلالة لبداية دين جديد وهو الدين الإسلامي .

وفيما يتعلق بأثر المبعث في كتابة الرواية التاريخية فإن للمبعث النبوي الشريف دورًا حاسمًا في تطوير كتابة الرواية الإسلامية منذ عقودها الأولى في القرن الأول الهجري ؛ إذ مهد لعدد من العلماء المسلمين الكتابة عن شؤون المبعث النبوي، ونزول الوحي، وعن صفات النبي وعن فقه النبي وخطبه ،وعن أمهات النبي وابائه وأجداده ، فكتب الشيخ الصدوق عن عبد المطلب وعبد الله وأبي طالب رسالة المبعث النبوي الشريف، وقد كتبت رسائل وكتيبات نشر بعضها عبد السلام هارون، ولكن الكثير منها مازالت أسماؤها قابعة في كتب الفهارس كفهرس ابن النديم وفهرس الرجال للنجاشي وهو من الفهارس الرائعة التي قدمت لنا المعلومات الكثيرة، ومعجم الادباء لياقوت الحموي فضلاً عن المستشرقين الالمانيين مثل بروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي ، وفؤاد سزكين المستشرق التركي . وهناك رسائل أخرى مثل ثلاث رسائل عن الرد على من يقول بان رسول الله قبل النبوة كان على دين ابائه او على دين قومه ورسائل أخرى، فقد كتب ضرار بن عبد الله والعلامة السيد الشريف المرتضى عن عصمة الأنبياء وتنزيههم ؛وذلك لأن هناك من كتب من أهل العامة رسائل في معصية الأنبياء ، وهذا في الحقيقة يعد أول تطور وتأثير للمبعث النبوي في تدوين الرواية التاريخية.

ولكن التطور الأكثر والاكبر هو ذلك الذي شهده تدوين الرواية الإسلامية

في الكتابة عن السيرة النبوية شاملة ، بدءًا بقصة الخليقة والحديث عن أجداد النبي ﷺ الى المبعث ثم الى المغازي ثم الى استشهاده ، وهنا ينبغي أن أسجل أن محمد بن إسحاق المديني المتوفى ١٥٠ أو ١٥١ هجرية يعد رائدًا في الكتابة عن هذا الموضوع (السيرة النبوية) ، وله كتاب اسمه سيرة ابن إسحاق ، وهو غير موجود ، وما سيرة ابن هشام عبد الملك بن هشام الحميري البصري المصري المتوفى في ٢١٣ هجرية إلا صورة مشوهة منه ، فإن ابن هشام نفسه يقول: إنه هذب سيرة ابن إسحاق، وأنا بكل تواضع أقول :هدمها وحرفها عن مقصدها ؛لأن ابن هشام جاء الى بغداد وسأل عن سيرة ابن إسحاق كيف يستطيع أن يحصل عليها ،فقالوا له إن هناك ثلاثة رواة ، أحد الرواة الذي أخذ منه ولاؤه عباسي وهو زياد بن عبد الله البكائي المتوفى سنة ١٨٣ هجرية فقد اصبح هذا راوية ابن هشام واعطاه وأملى عليه، واذا قرأت سيرة ابن هشام ستجد في المقدمة التي كتبها ابن هشام أنه تدخل في جميع معلومات ابن إسحاق وحرفها وأخفى بعضها خاصة ما يتعلق بالإمام علي ؛لان ميول زياد بن عبد الله عباسية ، وأقصى المتعلقة بأبي طالب أيضا ، وأول شيء عمله انه حذف الجزء الأول بأكمله من سيرة ابن إسحاق وهو الجزء الذي يسمى المبدأ او المبتدأ بناء على نصيحة زياد بن عبد الله البكائي، ولكن مع هذا فان سيرة ابن إسحاق تعد أنموذجًا ومثالا احتذى به المؤرخون الذين تلوه حتى سنة ٩٦٣ في كتاب الصالحي (سبل الهدى والرشاد) فقد قلدوا هذه السيرة ، ربما يسأل أحدكم كيف نشكك في سيرة ابن هشام ونحن نعتمدها مصدرًا ؟ نقول إن التشكيك له ما يؤديه ولحسن الحظ أن رواية الراوي الثاني الذي كانت ميوله شيعية وهو يونس بن بكير ، أخذها بعض المؤرخين كالطبري وابن كثير ، فهم يقولون يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، فنجد فيها عدم الالتقاء بين رواية ابن هشام لابن إسحاق ورواية يونس بن بكير لابن إسحاق أيضا . والنقطة الأخرى أنه اكتشفت قطعة من سيرة ابن إسحاق

في المغرب وحققها الدكتور سهيل زكار في دمشق ، وهي قطعة مغازي رسول الله برواية يونس بن بكير .اما الراوي الثالث فيعد من أحسن الرواة ،ولكن روايته اختفت أيضًا وهو سلمة بن فضل الابرشي . وكلهم كوفيون وفي الحقبة العباسية .

فضلاً عن هذا يذكر الخطيب البغدادي وابن عساكر أن ابن إسحاق عندما طرد من المدينة الى الكوفة ، جاء الى الحيرة ليقدم كتابه الى ابي جعفر او أبيه المهدي فكان كبير الحجم فقدمه الى مستشار ابي جعفر الذي كان اسمه المؤدب ، فقال له : ألا تختصره يا ابن إسحاق، فاختصره ، فأعطى المؤدب هذا الكتاب الكبير الحجم الى ابي جعفر او الى المهدي فخزنه في الخزينة ، وقد أعطى ابن إسحاق قراطيسه الى سلمة بن فضل الابرشي . اذن نحن لدينا ثلاثة أصول لم يبق منها الا سيرة ابن هشام؛ لان رواية ابن إسحاق ذات ميول شيعية فهي تعطي للشيعة والامام علي حقه ضد الرواية العباسية ؛ لذلك أركنت أو أخفيت . وبعد عقدين أو أقل من عقدين انبرى عالم شيعي من أصحاب الامامين الصادق والكاظم ﷺ جمع رواياتها ويعد أصلاً من الأصول الاربعمئة الشيعية وهو ابان بن عثمان البجري الأحمر او الاحمري ، وقد قلد سيرة ابن إسحاق فكتب السيرة النبوية لكن ليس في ثلاثة أجزاء انما في خمسة أجزاء وأيضا كتب المبدأ ثم وقف على المبعث النبوي ثم على المغازي ثم على استشهاد النبي ومن ثم السقيفة وصولا الى الردة ، ولكن هذا الكتاب الضخم كما وصفه الشيخ الطبرسي في كتابه اعلام الورى ضاع أيضًا ولم يبق منه شيء ، ولحسن الحظ أن علماء الشيعة أخذوا منه بعض الروايات ولا سيما الشيخ الطبرسي . إن هذا الكتاب الضخم ضاع لأنه يمثل الرواية الشيعية للمبعث النبوي الشريف وللسيرة النبوية، ولذلك أتمنى على دار الرسول الأعظم أن تهتم برواية المبعث الشريف على هيئة بحوث ودراسات .

ربما يسأل أحدكم ، هل هناك شيء في رواية المبعث النبوي الشريف؟ أجيبه نعم

، إن رواية المبعث الشريف التي هيمنت على عقولنا وعقول أجيالنا وعلى مناهجنا وكتبنا هي رواية سميتها في كتابي (نقد الرواية التاريخية) الرواية الزبيرية الاسدية ؛ لأن سندها التاريخي يرجع إلى ابن شهاب الزهري تلميذ عروة بن الزبير ، عن هشام بن عروة ، عن عروة بن الزبير عن خالته عائشة زوج رسول الله ، هذا السند التاريخي تتبعته من ابن هشام الى أحدث من كتب عن السيرة النبوية ،هو الصالحي في (سبل الهدى والرشاد) وجدته نفسه ، يدخل فيها أحيانًا عثمان بن عروة بن الزبير ويحيى بن عروة بن الزبير، وعبد الله بن الزبير ، وأحيانا موالي عروة بن الزبير صالح بن تيسان ووهب بن تيسان وعبيد بن عمير ، هؤلاء كلهم تجمعهم الرواية الزبيرية ، هذه الرواية تقول إن رسول الله كان في كل شهر رمضان من كل سنة يتعبد او يتحنث فيصعد جبل النور الى غار حراء على عادة الجاهليين او على عادة قومه او على دين قومه وفي شهر رمضان فقط ، وهذه الرواية يجب أن يتوجه الاهتمام نحوها ؛لأنها مضرة بعصمة النبي لأن رسول الله لا يوافق على عادات الجاهلية ولا يدين بها ، وهذه نقطة مهمة أركز عليها .

النقطة الثانية أن عائشة سألت وهي في المدينة بعد زواجها ،كيف كان يأتي الوحي لرسول الله ؟ قالت: الرؤيا الصادقة أو الصالحة تأتيه في المنام ، وقد ناقش بعض الكتَّاب هذا الموضوع، وقالوا : ربما لم تكن عائشة تقصد أن كل الدين الإسلامي جاء في المنام بل أجابت بذلك لكونها كانت صغيرة وغير واعية. لكنها جعلت أول جوابها عن الوحي الرؤيا الصادقة ، وهذا في الحقيقة يجب أن نقف عندها، إذ إن القرآن الكريم لا يؤيد هذه الرواية ، وهذا ما جاء في سورة الشورى الآية رقم ٥٠ و ٥١ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ إن المفسرين الشيعة قالوا إن النوع الأول مقصود به إبراهيم، اما الثاني فمقصود به النبي موسى اما الثالث فيقصد فيها

جبرائيل والنبي محمد ، ولا توجد هناك رؤيا ، والآية الثانية ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

فهذه الرواية جديرة بالبحث من جوانب عدة ، فإذا قرأنا الرواية نراها متهافتة جدا ، إذ تقول إنه في إحدى المرات اما يصعد الى جبل النور بمفرده أو مع زوجه خديجة أو مع أهله ، ويتزود بالغذاء ، وإذا نفد الغذاء ينزل ليتزود به ويصعد . أقول إن غار حراء ـ والذي يذهب الى الحج والعمرة يعرف ذلك ـ هو عبارة عن منحنى في جبل ، وهذا المنحنى في الحقيقة مثل الكهف اختاره النبي ؛ لأنه قبالة الكعبة الشريفة رمز دين إبراهيم الحنيف وهذا المنحنى طوله قرابة ثلاثة أمتار وعرضه من تسعين سنتيمتر الى متر لا يتحمل أكثر من أربعة أو خمسة أشخاص، اذن كيف تكون عادة الجاهلين وقريش الصعود كلهم الى هذا الجبل والتعبد فيه ؟ اذن الرواية متهافتة ،والتهافت الآخر يقولون : كان قد صعد مع أهله في يوم من الأيام وكان نائما في الغار فجاءه جبرائيل وغطه ثلاث غطات او غتات او ضمات شديدة وقال له : اقرأ ، فيقول له : ما انا بقارئ ، ووجدت عند ابن كثير روايتين يقول فيها : ليس هناك شيء اقرأه ، كأن النبي يعرف القراءة ، وبعد أن غطّه الثالثة ، قال له: اقرأ باسم ربك ، فقرأ النبي ، ثم بعدها لم يقل: نهض من نومه، وانما نزل رسول الله وهو مرتعد مصاب بالفزع والخوف الشديد ويتعثر علمًا أن جبل النور جبل عال ،فيسمع صوتا من السماء: يا محمد أنا جبرائيل وينظر النبي الى السماء ويراه ، ثم تقول الروايات: وكانت خديجة الكبرى قد استبطأته فبعثت الجارية للبحث عنه . مع العلم ان الرواية ذكرت أن أهله كانوا معه في الغار . لاحظوا التهافت. ومما ذُكِر انه رجع الى البيت ، وقال: دثروني دثروني زملوني زملوني،

واذا درجة حرارته مرتفعة فصبت على راسه الماء البارد . وقد استغل هذه النقطة المستشرق وليام إذ سأل ابنه الطبيب عنها ؛ لأنه كتب عن حياة محمد فأجاب ابنه أن لديه مرضا عصابياً او ما يعرف بالصرع ، فجاءت فكرة الصرع عند المستشرقين من دثروني دثروني، . والأكثر شدة أن النبي قبل بعثته كانت خديجة تنظر إليه وهو خائف يرتعش وكان في المنزل أبو بكر كما في الروايات فقالت له ياقحيف خذ بيد ابن اخيك الى ابن اخي فأخذه قحيف الى ورقة بن نوفل النصراني . وهنا بيت القصيد إذ إن رواية المبعث كلها تذهب الى أن ورقة بن نوفل كان يثبِّت الرسول ويطمئنه، ويقول له: حبوس حبوس قدوس قدوس، هذا ما نزل للنبي موسى – بالرغم من أن نوفل نصراني لكنه لم يذكر النبي عيسى– واذا بالرسول يهدأ ويطمئن ، وهذا الكلام طبعا مناف للعقل اذ إن هناك رواية تقول إن رسول الله من عمره ٣٧ سنة كان مرتبطاً بالملك اسرافيل وكان يعلمه الدين . إذن هناك العديد من هذه الروايات تحتاج إلى إعادة النظر والتمحيص لاسيما في المبعث النبوي فهي روايات خطيرة جدا ويجب البحث فيها بحثاً موسعاً ودقيقاً .

الندوة الرابعة

محمد ﷺ

الندوة الرابعة

السيرة النبوية في ضوء الخطاب القرآني
مقاربات منهجية

حاضر فيها

الاستاذ المساعدالدكتور محمد جعفر العارضي

المكان: قاعة الامام القاسم عليه السلام

التاريخ: ٢٠١٧/٨/٢٥م

قبل الدخول في أجواء هذه المحاضرة لابد من أن أتقدم بالشكر للقائمين في مركز العميد ، الذين ينتجون مجموعة من المشاريع ، التي تقوم على النوعية ذات الرسالة القيمة.

إنّ مشروع إعادة كتابة السيرة النبوية في ضوء الخطاب القرآني و سيرة أهل البيت عليهم السلام واحد من هذه المشاريع المهمة ؛فضلا عن مشاريع أخرى.

فكتابة السيرة في ضوء الخطاب القرآني تستلزم كثيرا من الأدوات المنهاجية ، التي يقوم العمل عليها.

إنّ الإشكالية في مثل هكذا مشاريع ماهي إلّا إشكالية منهجية تقوم على مجموعة تساؤلات .

إنّنا نحتاج في كتابة السيرة النبوية على وفق الآلية التي نعتمدها الى قرأنة السيرة.

والسؤال الحاضر في بداية عملنا هذا.هل يمكن قرأنة السيرة؟

وفي عملنا هنا نحاول أو نقارب أو نلامس جوابا على مثل هكذا سؤالات.

والسؤال الثاني ، الذي ينبثق في مثل هكذا عمل. ما التحديات التي تواجه الباحث في قرأنته للسيرة؟

واذا تجاوزنا هذه التحديات ، فما الأدوات المنهاجية التي نحتاجها في عملنا هذا؟

إنّ السيرة بلحاظ المدونة التاريخية ،التي يعرفها أهل التاريخ ،وأرباب السير، تحتاج الى قراءة جديدة ، إذ تقوم هذه القراءة على متابعة السيرة في ضوء الرصد القرآني ،وإن كان القرآن قد سكت عن كثير من مفاصل هذه السيرة ، التي تتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لذا سوف نتطلع الى رصد القرآن للفعل النبوي السيري.

وفي هذا الرصد جنبتان :

الجنبة الأولى : ما المحطات التي اختارها القرآن الكريم من السيرة النبوية ووقف عليها؟.

والجنبة الثانية : ما القالب اللساني او الأدوات اللسانية التعبيرية، التي اختارها القرآن الكريم لنقل هذه السيرة بعد قرأنة الخطاب السيري ؟ وعليه أتحول الى مقوم تفسيري للآيات التي ذكر فيها النبيﷺ في لحاظ الفعل السيري المؤثر في الذات وفي المجتمع.

،وهذا العمل من الخطورة والاهمية ،وهو عرض السيرة في المدونة التاريخية على القرآن الكريم .

ونردف في عملنا هذا قضية مهمة ،ألا وهي تنقية السيرة من المقولات التي تتعارض مع العصمة ،ومقام النبوة الذي لايخفى عند كثير من الباحثين.

فهناك كثير من المقولات التفسيرية التي أُقحمت الى المدونات السيرية،والتي لاتخلو من التعدي على المقام النبوي،وخلخلة مفهوم العصمة.وهذا الأمر ينطلق من فهم العصمة في ضوء العصمة المطلقة للنبيﷺ ، أو بلحاظ العصمة في وقت التلقي فقط ، أي وقت تلقي الوحي من قبل النبيﷺ فقط.

فقرأنة السيرة ستقودنا الى أن نُنَقّي ونرفع ما أُثير من شبهات تتصل بالعصمة والمقام النبوي في ضوء هذه القراءة .

إنّ عملية نقل المتن السيري من التداول التاريخي الى المنطقة القرآنية لا يخلو من الأهمية ، بمعنى آخر: إنّ المتون التاريخية للسيرة تتعاطى مع الحبك السيري على نحو من الحرية ؛ فالقرآن سيوجه هذا التعاطي نحو وجهته الصحيحة. إذ إنّه سيعزز المقولات السيرية بالحجة للوصول الى السيرة الصحيحة.

فغايتنا من قرأنة السيرة ما لهذه السيرة من أثر في نفوس الناس ،الذي

سوف يترسخ عند إضفاء الصبغة القرآنية على هذه السيرة.

فالباحث سوف يقف وقفة المتسائل عن أسرار العناصر السيرية ،التي خصّها الخطاب القرآني وقدّمها واعتنى بها.

وهذه العناصر المخصوصة هي التي ستكون مدعاة للتأمل بلحاظ تشريعي واداري وسياسي وحضاري.

إلّا أنّنا لن نتحول بها الى الجانب الاجرائي التطبيقي ما دمنا قد وضعنا عنوانا للمحاضرة باننا سوف نتعاطى بلحاظ منهاجي المصاديق التي ستكون قليلة.

والسؤال المطروح في هذه المحاضرة أيضا : لما ذكر القرآن الكريم أمورا ،وكان بإمكانه أن يسكت عنها، مثل عبس وتولى، كان بإمكان القرآن ان يسكت عنه ؛ إلّا أنّه أنتج منها سورة من سور القرآن الكريم. وفي موضع آخر من القرآن ذكر حدث زواج النبيﷺ من زينب بنت جحش ، وقد أشار القرآن ما كان في نفس النبي ﷺ والقوم لا يعلمون ما في نفسه، فلو سكت القرآن الكريم عن ذلك لطوي الامر.

أُريد أن أقول بمعنى آخر: إنّ القرآن الكريم تعاطى مع السيرة تعاطيا حياديا واقعيا ، هذه المسألة على غاية من الأهمية.

خلاصة قولنا: إنّ هذه التحديات هي تحديات منهاجية بامتياز.

والسؤال المطروح هنا : ما هذه المنهاجية التي ينبغي ان نقف عليها حتى نصل الى نسبة من المقبولية في ما يمكن تسميته بقرأنة السيرة ؟

سأقف على بعض التحديات التي تزامنت مع عملنا هذا .فالتحدي المنهجي الأول:أنّ تدافعا قائما بين (المتن السيري التاريخي)وبين (المتن السيري القرآني) ،فالمؤرخ ينحاز الى مدونته، أمّا القرآن الكريم لديه خطة وأدوات في مواكبة السيرة

النبوية . إنّ هذا التدافع يحسم لمصلحة من؟

إنّ بداية عملي هي الوقوف على سيرة ذات لحاظ تاريخي ، وسيرة ذات لحاظ قرآني .والسؤال القائم على وفق ذلك. أيّهما يُعرضُ على الآخر؟

ومن ثم فان هذا التحدي المنهجي يجب ان يصاغ صياغة مبررة .والاقتراح الأول كما أرى أنْ نعرض المتن السيري على القرآن الكريم ،وذلك لأن القرآن الكريم هو من أنتج السيرة النبوية ،ووقف على تفاصيلها الدقيقة ،وأشار الى ما اراد أنْ يشار إليه .وبذلك يكون القرآن الكريم حاكما على ما ذُكِر في الكتب السيرية.

إنّ هذه المواكبة القرآنية للسيرة النبوية تقودني الى مسألة على غاية من الأهمية ، وهي من المسائل التي لم يتصالح عليها القوم ،ألا وهي : أن اتبنى ترتيبا نزوليا لآيات القرآن الكريم ، وأترُك الترتيب المصحفي للآيات .إن ما عليه المصحف الذي بين أيدينا من ترتيب للآيات القرآنية ،الذي يبدأ من سورة الفاتحة وانتهاءً بسورة الناس وما بينهما من سورٍ مباركة ، فهذا الترتيب المصحفي لا يتناسب مع ما أُريد من قرأنة السيرة ، ولعل هذه المظاهر الإفهامية المتعددة تبدو متعارضة ومتناقضة.

أما المستلزم المنهجي الآخر :هو أنْ تتحول قرآنيا أيضا ؛ اذ نتحول من الترتيب التجزيئي او التفسير التجزيئي الى التفسير الموضوعي.

ونحن نتابع القرآن الكريم من الفاتحة الى الناس لا يجب ان نتابع في ضوء التسلسل النزولي ، المنهج الآخر ، أي المنهج التفسيري ؛اذ لا يخفى على احد أن المدونة التفسيرية الموجودة في الوقت الحالي ،هي مدونة تفسيرية تجزيئية ،أي تعاطت مع ترتيب المصحف وآياته، وهذا غير منسجم او لا يؤتي أوكلًا كثيرة.

ومن ثم علينا أن نعتمد على المنهج التفسيري الموضوعي للسيرة في مدونة

المغازي، وقبل ذلك الولادة والاشياء التي تتصل بذات النبي وهجرته ، وبعضهم يشطرها على مرحلتين المكية والمدنية.

وعلينا أن نلحظ : أن اختيارنا المنهج الموضوعي هو عدم مغادرة النزولية ، بمعنى آخر أننا سننحاز الى الترتيب النزولي داخل المنهج الموضوعي،الذي هو منسجم مع معطيات السيرة ،اذ يعطيني رصد القرآن الكريم للنبي بلحاظ الذات مثلا او إن شئت بلحاظ الاسم اذا أردنا أن نرصد. نحدد الموضوع ونأتي لعناصره الجزئية ،يعني تقطيع آية مثلا من البقرة وتعود وتثنّي بآية من آل عمران وصولا الى المائدة، وهكذا المتابعة بلحاظ الموضوع وداخل الموضوع ستكون نزولية ، الآن نعطي مجموعة من المصاديق ،التي تشتغل في ضوء النزول وفي ضوء الموضوع ، مفاهيم الرسول في القرآن الكريم ، عبر عن الرسول بـ (الرسول ،النبي ،الصاحب، البشير، النذير)،وما الى ذلك هذه الصفات تجمع على أساس انها تمثل هوية النبي ،التي يريد القرآن الكريم أن يقدمه في ضوء هذه الهوية ، عندما نرصد مفاهيم الرسول ماذا نجد؟ نجد أن المفهوم الأول النزولي هو (العبد)،وهذا ما نجده في سورة العلق ،اذ ما تسالمنا ان العلق اول سور القرآن الكريم ﴿ أرايت الذي ينهى عبدا اذا صلى﴾ ،هذا المفهوم الأول لم يستعمل لا رسول ولا نبي ولا صاحب ؛ اذ ان المفهوم الأول او الذات الأولى إن شئتم من الهوية المحمدية ، هو (العبد) . المفهوم الثاني ،هو (المزمل) نزوليا ، والمفهوم الثالث (المدثر)، والرابع واحد من المفاهيم ذات الإشكالية الكبرى ما جاء في سورة الضحى: ﴿ ووجدك ضالا فهدى﴾ وسأسلط الضوء على هذه، وصلنا الى السورة الحادية عشرة ،فلا وجود للنبي، ولا للرسول ،ولا للصاحب .الان هو عبد قد تزمل وتدثر ،وكان

ضالا بلحاظ الاستشراق.

نأتي وننظر دلاليا ،ونحاول ان نتلمس الأجواء الدلالية ،وما يتصل بالسمات التعبيرية ،التي يريد ان ينتجها الخطاب القرآني وراء هذه الاختيارات ، فهذه الاختيارات وراء احداث خارجية ، حدث خارجي سيري ينقله القرآن الكريم ؛ فيُصبغ بالصبغة القرآنية، فلا يخفى على أحد أن المزمل والمدثر قد قيل إنهما مثّلا حالة التباطؤ في الاستجابة للدعوة ،وإن أحد المفسرين فُهم من كلامه على انه تباطؤًا، وعدم رغبة من النبي ؛وهذه مشهورة عند ارباب السير (دثروني ،زملوني) .نستطيع ان نفهم في ضوء المدونة السيرية انه تباطؤٌ ،وعدم استعداد في ان يتواصل النبي مع الوحي.

المزمل نزوليًا ،هي الثانية، والمدثر ، هي الثالثة.

اذن كيف تحل اشكالية أن النبي رغب عن أن يكون نبيا ،يعني (تزمل وتدثر) على فرق بين المفهومين ، المزمل من تغطى بثيابه، والمدثر من بالغ في التغطية ،هذه الحالة او هذا المفهوم الثاني اذا بقينا في حدود رواية دثروني وزملوني ، ورواية النبي الخائف والقلق في ضوء ما انتجته السيرة ،اذا ما جئنا الى القرآن نجده يتحول بهذين المفهومين الى غير هذه الدلالات ، لعلنا نستطيع ان نستلهم دلالة المزمل والمدثر على الاستعداد النفسي على الانتظار، وهذا التعاطي الدلالي غير ممنوع عندما نجد السورة تتعاطى مع النبي في ضوء مقومات وتضعه امام أدوات ﴿ قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر ﴾ هذه المطاليب لا يخاطب بها من رغب عنه وحتى ادوات (اصبر، واهجر) ، نلحظ التعاطي السيري النزولي القرآني سيذهب وسيستر اذا اردت أن استعير اللفظين

يزمل يدثر دلالات عليها أهل السير ويعطينا دلالات : المستعد ،والمتلهف، والمنتظر ، لعل المشكل في المدثر والمزمل قليل ؛ لكن المشكل على الحكاية في ضالا كبير ايضا تجدون أحد المفسرين يتعاطى مع ضالا في ضوء الدلالة القرآنية ،التي أعطاها (الضال غير المهتدي) حتى أن بعض المفسرين المحدثين من يذهب أيضا الى أن ضالاً تعطي الدلالة على غير المهتدي . أجواء سورة الضحى المباركة باختياراتها اللسانية وبحدثها الفريد ؛لأنها تلت مرحلة انقطاع وفتور؛ هذا يفهم من قوله﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ وهذا نفيٌ للتوديع ونفيٌ للترك المبالغ فيه ونفيٌ للبغض على مقولة بعض المفسرين ،الذين يفهمون ويستعينون بالسياق الخارجي ، فيفهمون أنّها فترة انقطاع ، وينشغلون بأسباب الانشغال الى الحد الذي يذهب بعضهم الى أن كلبًا دخل دار النبي ،فكان سببا من أسباب الانقطاع ،هذه واحدة من الأشياء التي ترافق هذه المشكلة اللسانية (ضالًا) .ما الضال في سياق سورة الضحى؟ ،وكيف يكون النبي ضالا؟ الجواب هو : النبي ضالًا بمعنى منتظرا ومترقبا متلهفا ،ولاسيما إن أجواء السورة جاءت بعد انقطاع ، اذا هذا الضلال يعينني على فهمه فهمًاعلى أساس من اشارته الى الانتظار والتطلع والشوق للهدى أو الوحي هو ما سبق هذه السورة من هذا الانقطاع.

اذا انتقلنا بلحاظ المنهج الموضوعي الى موضوع معارضة النبي، اذ عارضه قادة الفكر الضال ،واختاروا لمعارضته مجموعة من التهم (مجنون ،وساحر، وكذاب، وشاعر ،ومعلم ،وكاهن،....) فالترتيب النزولي لهذه المفاهيم، وانا اعتني كثيرا بالترتيب النزولي فكما مارسناه مع النبي في سلم المفاهيم النبوية (العبد، والمزمل، والمدثر، والضال)،فلا أتوقع أن (عبدًا) يرغب عنه-هوسماه عبدا اولًا، فهويمتلك المقدرة والأدوات ، هذه أشياء عارضة (اقصد المدثر ،

المزمل) وانا افهمها فهما معنويا. المفهوم المادي ينسفه المفهوم الأول أو الهوية الأولى، هوية العبد .هل نتخطر عبدًا ضالًا؟ فهذا القرآن الكريم سماه عبدًا .فلا يمكن ان يقال بعد القرآن شيء ، ولا يمكن تفسير ضالا بأنه ضد المهتدي.

فالترتيب النزولي اذا اعتمدناه مفهوما يسبغ المفهوم ،الذي يليه بالدلالة هذا ما اريده من المتابعة النزولية ،فالمفهوم الأول يضفي الوانا دلالية على المفاهيم الأخرى ،اذ نحن امام منظومة تتكامل فيها الهوية الواعدة ؛لكن المقتضيات ان يكون عبدا هنا، وان يكون(مدثرا، مزملا، ضالا، رسولا، نبيا ،اميًّا، صاحبًا) وما سوى ذلك. هذه المتابعة النزولية مفاهيم المعارضة- وهي مرفق من مرافق السيرة المواجهة، ومن ثم التصدي او الدفاع القرآني- قد وقفت على مجنون ،وكذاب ،وساحر، وشاعر، ومعلم وكاهن ،في ضوء فهم قادة الفكر الضال. ومجنون قد هيمنت يعني جاءت متلازمة مع غيرها هذه فائدة الترتيب النزولي ،وفائدته كذلك انني اتابع ما عليه التفكير المواجه في انتداب هذه التهم او هذه المفاهيم التي تسلب النبي نبوته ، فالترتيب النزولي يقودنا الى واحدة من اثنتين: الفكر المعارض يبدأ من الأدنى الى الأعلى ام يبدأ كخط عشوائي ؟ وهناك ملحظ آخر ،لا يخفى على احد ،اذ ليس بالضرورة ان تكون التهمة هذه، التي يذكرها القرآن الكريم بقولها قد وسم بها النبي، قد تكون جاءت بصياغة مغايرة.

القرآن الكريم ينقل عن قادة الفكر الضال ،الذين يعارضون النبي، وهم كبار القوم، الذين فكروا طويلا الى ان وصلوا الى النعت، الذي يسلب النبي نبوته (مجنون، كذاب، ساحر، شاعر) ،هذه الاختيارات هي اختيارات عقلية إبداعية عندما تسطر موضوعيا وتجمع في مكان واحد تقود الى كثير من الأشياء .فهذه النتائج هو يعيها مجرد ان تضع المتشابهات في مكان واحد تعبر عن ذاتها، وتعبر عن دلالاتها، اذا ان هذه التهم او هذه الاوصاف، هي اوصاف تتصل

بالجانب العقلي(مجنون، معلم) هذه عقلية .فكذاب تتصل بالجانب السلوكي والأخلاقي. لاحظ التنوع (ساحر، وشاعر) هذه مهارات إبداعية منها ما يكون قوليا في شاعر، ومنها ما يكون عمليا وان كانت النزعة العقلية مهيمنة على هذه الصفات او على هذه التهم. اما كاهن فالترتيب النزولي قلت مسبقا اننا امام واحدة من اثنتين التدرج من اقل التهم حدة الى اعلاها، ام ماذا؟ بدا لي في هذا الترتيب السلمي، اذ بدا لي ان هذا الترتيب هو ترتيب انهزامي يحمل في طياته شيئا من التصديق في نبوة النبي هم يعارضون هم يريدون ان يبطلوا دعوة النبي لكن هذا الترتيب النزولي والمتابعة النزولية الموضوعية تقودنا الى ان انهزاما وتسليما، ولو على نحو غير مباشر او غير ارادي تسرب او تخلل الى هذه المفاهيم، ولاسيما عندما تلحظون ان هذه المفاهيم حطت في محطتها الأخيرة بمفهوم ديني (كاهن) ،اذ هي صبغة دينية. هم شهدوا للنبي بوجود صفة وصبغة هوية مقدرة؛ لكن عبروا عنها بالكهنوتية، اذ هذا التعبير سلبي، لكن انتقلوا من مجنون الى كذاب وساحر. هل المجنون يستطيع ان يكون ساحرا؟ وهل يستطيع المجنون ان يكون شاعرا؟ وهل يستطيع ان يتلقى ويتعلم؟ والامر الذي ينسف ان القرآن عبر معلم مجنون ،اذ جمعوا الاثنين ،فالنبي اذا وصف بالمجنون، لا يُنتظر منه ان يكون ساحرا وشاعرا، ومعلما، وكاهنا. فالانهزامية التي وقع فيها القوم، دون ان يشعروا بها تلازم المنهاجية النزولية لا تعطي ما نريد مالم نعضدها بالمنهاجية الموضوعية، المنهاجية الموضوعية تكون مفككة ، تعلمون ان معيارا يخالط المنهاجية الموضوعية ،هو معيار الكثرة ، النظرية الدلالية الحديثة على الأقل تقترح معيار الكثرة، فمعيار الكثرة غير نافع؛ الا ان الموضوعية والنزولية ،هي التي تنفع في المسألة. اريد ان اعزز فوائد الجانب النزولي ، ففي قوله تعالى :﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ في سورة العلق المباركة

،فهذه الآية التي نتخذ منها لافتة مهمة تستنبط مفاصل وعناصر البناء الكمالي للنبي، اذ ورد ذلك في السورة الأولى سورة العلق. فاذا اردت ان امثل أهمية الترتيب النزولي في هذه الآية المهمة، لا أقول هي المهمة فقط؛ بل كل آيات القرآن الكريم مهمة، لكن هذه الآية هي التي بسطت نفوذا واسعة، اذ وردت هذه الآية في سورة العلق في السورة الأولى ،التي يجمع القوم على انها الأولى ،يبدأ الاختلاف من السورة الرابعة عشرة ،لكن من العلق الى ما بعد الضحى ،لذلك وقفت عند هذه الاختيارات ،لان القوم يتفقون على هذه المفاهيم التي ذكرناها مسبقا. الآن نتأمل في هذه المفاهيم التي تتمفصل فيها الذات النبوية، اذ نجدها مقسمة على قسمين: القسم الأول: مجموعة من هذه المفاهيم آنية قد تبدو. فانا اريد ان اعزز دلالة الضال على غير المقابل للهدى. هذه المفاهيم الأولى، هي مفاهيم آنية؛ فهذا يدعونا الى ان ندفع بالمفهوم الرابع ان يكون آنيا ،وان كان يبدو مفهوما استدعائيا، فالنبي كان ضالا لكن هو الآن مدثر، ومزمل ، وعبد ،لكن ﴿يتيما فآوى﴾ هذه تستدعي، وان كانت تبدو ملازمة ﴿عائلا فأغنى﴾،اذن آنية المفاهيم الأُول تعزز ان يكون المفهوم الرابع المفهوم الاشكالي، أن يكون مفهوما آنيا أيضا ونتخلص مرة أخرى من دلالته على غير المهتدي. دفاع القرآن الكريم أيضا انقسم على قسمين : فهناك شيء غاية من الأهمية، اذ ان واحدا من المفاهيم لم يأت نقلا عن تعبيرهم أنه معلم ومجنون دعوني اختر هذه المفاهيم ،هذه قبل التهمة التي تلت هذا الاستعمال . فقد نفى القرآن الكريم هذه المفاهيم ، اذ نفى الجنون في اربع مرات، ونفى الكذب في مرتين عن النبي، ونفى السحر مرة واحدة، ونفى الشعر في ثلاث مرات والكهنوتية نفاها في مرتين، والتعليم نفي في مرة واحدة. فاذا اردنا ان نتعمق سنجد ان هذه الأرقام، وهذا الشيوع القرآني، وهذه العناية

القرآنية بمجنون .دعوني اوزان بين نفي الجنون ونفي الكذب ،الجنون نفي في اربع مرات، وكذّاب نفي في مرتين، هذا سيكون نافذة سيرية، فالموازنة ستفتح على السيرة على السياق الخارجي ،فقلة عناية القرآن بنفي الكذب افهم ان الاستدعاء للسياق الخارجي ،هم يسمون النبي بالصادق الأمين، لاحظ الآن المرفق السيري لّما وجد الخطاب القرآني القوم يتعاطون مع النبي على أنه الصادق الأمين لم يعتن بقولهم وكذاب كثيرا ،لكن اعتنى بمجنون دفعها عنه اكثر مما تعمد او انصرف الى دفع غيرها من التهم، اذ ينفتح بابا سيريا بمعنى ان القرآن الكريم يريد ان يخاطب بلحاظ الإشارة، والمعنى الرمزي المغزوين أن القرآن الكريم كأنه يشير الى تهافت عقول هؤلاء، هم الذين ينادونه بالصادق الأمين، وهم يقولون بالكذاب لم يعتن بالكذاب اعتمادا على مقولاتهم.

والآن نذهب الى الآثار المترتبة على قرأنة السيرة ، هذه السيرة النزولية الموضوعية ،وهذا التلازم بين المنهجين يصل بنا الى مجموعة من الآثار ،ولحضراتكم أن تضعوا آثارا لا تنتهي ؛ لكن ما عنّ لي على عجالة.

١-أن تكريسا للبعد العملي القرآني متمثلا بالتفاعل النبوي مع الحدث القرآني.

٢- اظهار الذات النبوية على نحو فعل عبدا وما الى ذلك.

٣- تنمية المقدرة الذاتية على الحوار والتفاعل.

٤- تنمية الموضوعية والحيادية والواقعية، هذه التي ذكرناها ان القرآن الكريم لم يسكت عن ذكر غير واحدة من الاشياء، التي قادت الى مقولات غير مناسبة.

٥- آليات الردود.

٦- المكابدات والمتاعب التي واجهها النبي ﷺ.

٧- ان العمل في ضوء الترتيب النزولي ،وفي ضوء المنهج الموضوعي يجعلنا نمارس نقدا تفسيريا وهي مسالة مهمة جدا.

يدربنا هذا العمل مع السيرة انتاج القرأنة لهذه السيرة ان هذا الامر يأخذنا الى مسألة غاية في الاهمية ينبغي ان يشتغل عليها القرآنيون في السيرة وفي غيرها ،هذه المسألة هي ما يمكن تسميته بالنقد التفسيري، وهي أن نضع مقولات المفسرين وفهمهم لهذه الآية او هذا المفهوم على نحو من النقد. هذا التخريج الدلالي يسلم ام لا؟ نعم يسلم. هذا النقد على اساس التحليل الدلالي.

هناك نقد اهم منه هو النقد المنهجي، إن التفسير التجزيئي،الذي عليه المفسرون ضيع وذهب بـ (النظرية القرآنية) في هذا الموضوع او ذاك .

عندما نوازن بين أن نبدأ بالحمد لله رب العالمين،وننتقل الى الآية الثانية وهكذا هذا الترتيب، وبين ان نضع الان منهجا يعتمد جمع المتشابهات ،لااقصد بالمتشابه القرآني مفهوم المتشابه،بل المتشابهات بلحاظ المضمون: الضلال ،الهدى، الزواج، المغازي النبوة،البعثة. هذا الأمر سيجعلنا نكتشف ان المفسرين لو طبقوا المنهج الموضوعي وانقلبوا على المنهج التجزيئي لجاءوا بخير وافر.

ومصداق ذلك ماجاء به السيد محمد باقر الصدر (رحمة الله عليه)في نظريته القرآنية، فقد كان يُثوّر هذه المسألة ويقف عليها في ممارسة العمل النزولي، والعمل الموضوعي، هذه الثنائية التي لاتنتج الّا بعقد زواج اليوم يسموه الكاثوليكي ،أي غير قابل للانفصال. الزواج بين قطبي هذه المنهاجية حقيقة يأتي باشياء كبيرة (النزولية الموضوعية). هذا النقد هو نقد على غاية من الاهمية والخطورة نقد ينصرف الى المفهوم، الى دلالة اللفظة صحيحة.

هل من منهج اخر اكثر انتاجا؟ الجواب: نعم، وهو المنهج الموضوعي والدليل على ذلك عندما نطبقه مع السيرة يأتي بأشياء، اذا من باب اولى ان نعود وننتج تفسيرا موضوعيا للخطاب القرآني ؛فنقف على النظرية الاقتصادية القرآنية، النظرية الاجتماعية ،النظرية السياسية ،النظرية الادارية، النظرية العسكرية، النظرية العلمية القرآنية في مكان واحد .العسكريون يجدون مائدتهم يجدون مايحتاجونه في النظرية العسكرية في الآيات العسكرية. السياسيون حتى لايقودون البلد الى شر وافر. مسؤوليتنا(اقصد مسؤولية المشتغلين بالحقل القرآني) ان نقدم للمتعلمين، للإداريين، للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية ،والعلوم النفسية ،والعلوم الاقتصادية. رؤية القرآن في السياسية في الاقتصاد في الاجتماع وما الى ذلك.هذا نكتشفه من العمل الموضوعي مع السيرة النبوية.

إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّ
لا إله إلا الله
محمد رسول الله

وتهم عند رسول الله
لتقوهم لهم مغفرة وأجر عظيم
محمد رسول الله